كراسات «الثقافة العلمية»

سلسلة غير دورية تعنى بتيسير
المعـــارف والمفاهيـم العلميـــة

رئيس التحرير أ.د. أحمد شوقى　　مدير التحرير أ. أحمد أمين

المراسلات:

المكتبـــة الاكاديميـــة
شركة مساهمة مصرية
رأس المال المصدر والمدفوع ١٨,٢٨٥,٠٠٠ جنيه مصرى
١٢١ شارع التحرير - الدقى - الجيزة
القاهرة - جمهورية مصر العربية
تليفون : ٧٤٨٥٢٨٢ - ٣٣٦٨٢٨٨ (٢٠٢)
فاكس : ٧٤٩١٨٩٠ (٢٠٢)

المكتبة الأكاديمية
شركة مساهمة مصرية
الحاصلة على شهادة الجودة
ISO 9002
Certificate No.: 82210
03/05/2001
UKAS QUALITY MANAGEMENT

علم زاده الخيال :

السينما والخيال العلمى (١)

obeikan.com

obeikandl.com

علم زاده الخيال :

السينما والخيال العلمى (١)

محمود قاسم

الناشر
المكتبة الأكاديمية
شركة مساهمة مصرية

٢٠١٣

obeikandl.com

حقوق النشر

الطبعة الأولى ٢٠١٢-١٤٣٢هـ

حقوق الطبع والنشر © جميع الحقوق محفوظة للناشر:

المكتبة الأكاديمية

شركة مساهمة مصرية

رأس المال المصدر والمدفوع ٩.٩٧٣.٨٠٠ جنيه مصرى

١٢١ شارع التحرير – الدقى – الجيزة

القاهرة – جمهورية مصر العربية

تليفون: ٧٤٨٥٢٨٢ – ٣٣٦٨٢٨٨ (٢٠٢)

فاكس: ٧٤٩١٨٩٠ (٢٠٢)

لا يجوز استنساخ أى جزء من هذا الكتاب بأى طريقة كانت إلا بعد الحصول على تصريح كتابى من الناشر.

obeikandl.com

كراسات الثقافة العلمية

هذه السلسلة :

تمثل تلبية صادقة للمساهمة فى الجهود، التى تعنى بتيسير المعارف والمفاهيم العلمية لقراء العربية. إن هذا المجال المهم، الذى نأمل أن يساعد فى إدماج ثقافة العلم ومنهجه فى نسيج الثقافة العربية، يحتاج إلى طفرة كمية ونوعية هائلة، وإلى فرز للجيد والردىء والنافع وغير النافع، بل وإلى كشف الاتجاهات المعادية للعلم، حتى إن قدمت باسم العلم. إننا ننطلق من قناعة كاملة بتقدير ثقافتنا العربية والإسلامية الأصيلة للعلم والعلماء، ومن استناد إلى تاريخ مشرف للعطاء العلمى، المنفتح على مسيرة العطاء العلمى للإنسانية فى الماضى والحاضر والمستقبل، ومن تطلع إلى أن نستعيد القدرة على هذا العطاء؛ كى نشارك فى تشكيل مستقبل البشرية، الذى تلعب فيه الثورة العلمية والتكنولوجية دورًا محوريًّا كقوة دافعة ومؤثرة فى الوعى المعرفى للبشر وفى مجمل أنشطتهم ونوعية حياتهم، بل وفى قدرتهم على الإمساك بزمام أمورهم. وإذا كنا نؤمن بأهمية تحول مجتمعاتنا العربية إلى مجتمعات علمية فى فكرها وفعلها، فإن ذلك لن يتأتى إلا بنشر واسع ومتميز لثقافة

العلم بكل أشكالها. ونأمل أن تكون هذه السلسلة، التى تبنتها المكتبة الأكاديمية، خطوة على هذا الطريق.

هذه الكراسة:

تقدم مجموعة من أشهر الأعمال السينمائية التى تتعرض لأفكار جذابة فى مجال الخيال العلمى، التى تحقق بعضها، حتى وصلنا اليوم إلى تقدم علمى يفوق الخيال!!! أذكر أن آرثر كلارك العالم والمفكر المستقبلى المشهور، قد قال ذات مرة إن «أى تكنولوجيا متقدمة قد يصعب التفرقة بينها وبين السحر»، وهو لايقوم على الخرافة، ولكن على إبداع العقل البشرى، الذى أمده الله بقدرات يحسن توظيفها أحيانًا، ولا يحسن ذلك فى أحيان أخرى. إن السينما، أو الفن السابع كما تسمى، اهتمت بهذه الأعمال، وقدمتها فى أجمل صورة، ومؤلفنا، الأستاذ محمود قاسم، بخبرته الموسوعية فى تاريخ السينما يقدم لنا بأسلوبه السهل الممتنع باقة من هذه الأعمال، التى تضيف مذاقًا خاصًا للثقافة العلمية فى المكتبة العربية.

أحمد شوقى

يناير ٢٠١٣

المحتويات

الصفحة

مقدمة... طويلة ٧

قراءات فيلمية

- ٢٠ ألف فرسخ تحت البحر ٨١
- شبح فرانكنشتاين ٨٧
- رحلة إلى منتصف الأرض ٩١
- فهرنهايت ٤٥١ ..... ١٠١
- رحلة العجائب ١٠٦
- كوكب القرود ١١٠
- لقاءات قريبة من النوع الثالث ١٢٠
- حروب النجوم ١٢٩
- وحش الفضاء ١٣٩
- الغيبوبة ١٤٨
- الإمبراطورية تعاود الهجوم ١٥٥

obeikandl.com

الصفحة

- ترون ١٦٦
- ماكس المجنون ١٧٠
- «أى. تى» ١٧٨
- الجهنمى ٢٠٢
- الذكاء الصناعى ٢١٢
- مجموعة الرجال الغرباء ٢٢٩
- أنا روبوت ٢٣٨
- بعد الغد ٢٤٧
- السماء تمطر هامبورجر ٢٥٥
- وال – أرض ٢٦٣
- فارس الظلام ٢٧٠
- ٢٠١٢ ..... ٢٧٩
- الروبوت ٩ ..... ٢٨٤
- غريب من الفضاء ٢٩٢
- المتحولون ٣٠٢

obeikandl.com

الصفحة

- الجهنمى ينهض ٣١١
- يوم أن توقفت الأرض ٣٢١
- الطفل الآلى ٣٣٣
- آڤـاتار ٣٣٩
- العقل الجبار ٣٥٥
- رحلة فضائية ٣٦٠
- المستقبل المفقود ٣٦٩
- سطوع كوكب القرود ٣٧٦
- الدبور الأخضر ٣٨٢
- رعاة بقر ووحوش الفضاء ٣٨٨
- ابطال العلم الخارقون ٣٩٥

١) شيطان الليل ٣٩٥

٢) سوبرمان ٤٠٥

٣) الرجل العنكبوت ٤١٤

٤) الخارقون الأربعة ٤٢٦

٥) كابتن أمريكا ٤٣٢

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة... طويلة

السينما هي صاحبة الفضل الأول في أن يتعرف الناس عامة على ما يدور في أروقة المعامل. وما يفعله العلماء، وبالتالي فهي التي جعلت من العلم البالغ التعقيد عملاً مباحاً وسهلا، يراه الناس في إطار من المغامرات والديكورات المهيبة، والحواديت الجذابة التي تتطرق إلى كافة العصور والأماكن من خلال قصص التخيل العلمي ..

ولاشك أن ازدهار التخيل العلمي في السينما بشكل خاص، والأدب بشكل عام، كان مؤشراً صحيًّا على ازدهار العلم من ناحية، واقترابه من الناس، ثم الاستمتاع بقصصه من ناحية أخرى..

لذا، فمن المهم التعرف على ما أنجزه العلماء من خططهم الابتكارية، وما سوف يقومون بإنجازه في مراحل المستقبل المتعددة من خلال ما تخيله العلماء حول منجزات أعمالهم في المستقبل.

ووسط منافسة فياضة بين الطرفين: إنجاز العلم، وتخيل الأدباء، شاهدنا سيلا متدفقاً من أفلام التخيل العلمي طوال القرن العشرين حتى الآن، تارة ينتصر العلماء على التخيل الذي أبدعه الأدباء، وتارة أخرى ينفوق الكتاب بتخيلاتهم على منجزات العلم..

لذا، فمن الأهمية أن تكون هناك دراسة عن العلم، والتخيل، إلى أي حد بلغت السينما هذه المكانة المتألقة من التخيل، وصنع الأحلام الأبدية التي حلم البشر بإنجازها، وعلى رأسها الصعود إلى الفضاء وغزو المجرات والنزول إلى مدن أعماق البحار والمحيطات، والتعرف على منجزات الهندسة الوراثية، والصراع بين أدمغة البشر والذكاء الصناعي وكافة موضوعات العلم، التي صارت في مقدمة اهتمامات الأدباء والسينمائيين، الذين قدموا كل هذه الأفلام الكثيرة العدد من التخيل العلمي، في كل أنحاء العالم؛ وخاصة في الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي سابقاً فتبارت الأطراف ليس فقط في المعامل، بل في قاعات العروض السينمائية وأرفف مكتبات التخيل العلمي .

إذًا، لا يمكن رصد اتجاهات ومدارس أدب التخيل العلمي، دون الحديث عن سينما التخيل العلمي. خاصة المرتبطة منها بالروايات المكتوبة. وليست الأعمال السينمائية المكتوبة مباشرة للشاشة. فمثلما دخل على نوع هذا الأدب عديد من مسببات الهامشية. حدث أيضا في السينما بصورة مكثفة.. وإذا كان أدب التخيل العلمي قد وجد له فرسانه الذين يكتبون له، ويكرسون كل الجهد والوقت لتقديم روايات جديدة تنتمي إلى أدب النوع، فإن هذا لم يحدث في السينما. بمعنى أنه لا يوجد مخرج سينمائي متخصص فقط في إخراج أفلام التخيل العلمي وحدها. بل هو يعمل في كل النوعيات: من أفلام الوسترن إلى الأفلام البوليسية والمغامرات والتخيل العلمي. لذا سوف نرى أن أغلب أبطال أفلام التخيل العلمى ليسوا سوى رجل الغرب بصورة أو بأخرى.. وأنه بدلا من حمل مسدس وامتطاء جياد . فإنه يحمل أسلحة أكثر تطورًا، ويجوب الفضاء في سفينة تقوم غالبا بدور الحصان، وذلك في أغلب تجارب سينما التخيل العلمي، كذلك فليس هناك كاتب سيناريو متخصص فقط في كتابة

سيناريوهات هذا النوع ،حتى وإن لم يعتمد على نص أدبي. حتى المخرج والكاتب صاحب ثلاثية حروب النجوم star wars جورج لوكاس، الذي كرس كل حياته لإنتاج أكثر من ثلاثية حول حروب النجوم، التى عرضت طبعتها الثانية فى شكل ثلاثى الأبعاد مع بداية عام ٢٠١٢ .

وعند الحديث عن سينما التخيل العلمي – خاصة الأفلام المأخوذة عن روايات أدبية – يثار أيضا السؤال حول المنهج، الذي يمكن للباحث أن يتبعه في دراسة هذه الظاهرة. فهل يمكن تتبع تاريخ التخيل العلمي في السينما منذ أن تبناه جورج ميليه في أوائل القرن العشرين.. أم يمكن تتبع الموضوعات، التي اهتم بها هذا النوع السينمائي، مثلما عمل دينيس جيفورد denis Gifford في كتابه "فيلم التخيل العلمي" science fiction film ، الذي صدر منه العديد من الطبعات، أم نكتفي بالحديث عن أهم الظواهر والأفلام التي ظهرت في السينما عبر التاريخ؛ خاصة في السنوات الأخيرة وهى الأقرب إلينا والأكثر تطورًا في سينما النوع من كافة

الجوانب.. أم نتوقف عند أهم الأفلام التي اختارتها الدراسات المتخصصة والمجلات السيارة؟

على كل، فلكل جانب من هذه الجوانب البحثية عيوبه وميزاته.. وسوف نعمل بقدر الإمكان أن نمزج هذه المحاولات وغيرها في قراءة واحدة.

من المهم أن نشير إلى أن التخيل العلمي بصورته المعاصرة ليس سعيد الحظ كثيرا – مثلما يتصور البعض – قياسًا إلى المرحلة الكلاسيكية منه، وهى المرحلة التي جذبت انتباه السينمائيين طوال عمر السينما. وكما يقول رولان لاكورب إن "محصلة التخيل العلمي السينمائي هي أبعد ما تكون عن هذا التطور الثرى للتخيل العلمي والأدبى"، فقد ظل الجانب الأكبر من السينما والجمهور واقفًا عند المرحلة الأولى، ونعنى بها مرحلة "جول فيرن" و هـ.ج ويلز .. نجد جول فيرن في مركز الصدارة بعدد رواياته، التي اقتبست للسينما "عشرين ألف فرسخ تحت البحار" و"رحلة إلى مركز الأرض" و"سيد العالم" و"الجزيرة الغامضة" إلخ. ويتبعه هـ

.ج ويلز في "حرب العوالم" و"الحياة في المستقبل" و"الرجل الخفي" و"جزيرة الدكتور مورو" و "آلة الزمن".

أما آرثر كونان دويل فيتبوأ المركز الثالث؛ فروايته "العالم المفقود" لا يحصى عدد المرات التي ظهرت في السينما، وكل الأفلام التالية التي صورت المناطق المفقودة؛ حيث تعيش حيوانات عملاقة من قبل التاريخ ترتبط بهذا الموضوع".

ويمكن أن نتحدث أولًا عن فيرن، من خلال أشهر رواية له ظهرت في السينما وهى "عشرون ألف فرسخ تحت البحار" التي كتبها عام ١٨٧٠، وبدت عملًا بسيطًا ينأى عن أفكار فيرن الحقيقة وتصوراته العلمية المدهشة. واهتم الفيلم في المقام الأول بإبراز حدوتة الوحش المائي الخرافي .. وقد كان أشهر الأفلام التي تم إنتاجها، هو الذي أنتجته استوديوهات والت ديزني عام ١٩٥٤، وأسندت إخراجه لمخرج جيد لسينما النوع فى أفلام أخرى مهمة، منها "الشمس الخضراء"solyent green عام ١٩٧٣ وهو ريتشارد فليشر، ولم يخرج الفيلم كثيرًا عن النص الذي كتبه فيرن. ولكن المهم

في هذه التجربة أن شخصية الكابتن نيمو التي ابتدعها فيرن في روايته، قد أصبحت شخصية شعبية سينمائية؛ حيث اهتم المخرجون بتصوير عالم الكابتن نيمو من فيلم لآخر . وهذا العالم الذي استطاع اختراع سفينة نيوتولوس، التي تجوب العالم من تحت البحار هو إنسان وقور متزن ثورى ومناضل وصاحب فكر. وعالم يسبق عصره، وهو يعيش في جو فنتازى يمثل اليوتوبيا بالنسبة للكثير؛ لذا قدح السينمائيون خيالاتهم لتقديم نيمو بصور متعددة. فبعد أن جسد هذه الشخصية جيمس ماسون رأينا عديدًا يقومون بالدور نفسه في أفلام مختلفة، منهم "هربرت لوم" في فيلم "الجزيرة الغامضة" عن رواية أخرى لفيرن ومن إخراج جون اندفيند عام ١٩٦١. أما روبرت ريان فقد قام بالدور نفسه في فيلم " كابتن نيمو ومدينة تحت سطح الماء" إخراج ولتر هيل عام ١٩٧١. وفى نفس العام جسد الدور أيضا عمر الشريف في فيلم "الجزيرة الغامضة" من إخراج جون باريم . هذا بالطبع غير أفلام عديدة قدمت الكابتن نيمو في الصورة نفسها. ورغم تعدد هذه الأفلام، إلا أن الصورة التي قدمها فليشر في فيلمه هي

الأصل دوماً؛ فلم يكن الكابتن نيمو بالمغامر. وقد اجتمعت بهذا الفيلم عناصر نجاح كبيرة منها الإنتاج الضخم، الذي حمله والت ديزني على عاتقه بانجاز الفيلم.

ومثلما حدث لهذا الفيلم، فإن شركة يونيتد أرتست قدمت الكثير من أجل أن يخرج فيلم "حول العالم في ثمانين يومًا" لمايكل أندرسون عام ١٩٥٦. وأيضا فيلم بالاسم نفسه عام ٢٠٠٢ قام ببطولته " جاكى شان. ومن أعمال فيرن الأخرى التي ظهرت في السينما "غزو القطب" لجورج ميليه عام ١٩١٢ في فرنسا، وفيها أيضا تم إخراج رواية ميشيل ستروجوف. أما بريطانيا فقد أنتجت " رحلة إلى منتصف الأرض" عام ١٩٦٠ من إخراج مارك ليفين، وفى روسيا تم إنتاج رواية "أبناء الكابتن جرانت"، وهى من روايات الرحلات

أما هربرت جورج ويلز، فقد ظهرت أعمال كثيرة له في السينما، منها: "حرب العوالم" و "آلة الزمن" التي أخرجها جورج بال عام ١٩٦٠ في فيلم يعد من كلاسيكيات السينما،

ثم في فيلم بالاسم نفسه عام ٢٠٠٤ . إلا أن أهم أعمال الكاتب التي وجدت طريقها إلى الشاشة، هي "جزيرة الدكتور مورو"، والتي أسماها الكاتب حين نشرها عام ١٨٩٦ "جزيرة الأرواح الضائعة".. وفى عام ١٩٣٣، قام الممثل الشهير تشارلز لوتون بدور الدكتور مورو في فيلم يحمل الاسم نفسه من إخراج بول كينتون . ثم أسند الدور مرة أخرى إلى بيرت لانكستر عام ١٩٧٧ في فيلم أخرجه دون تايلور ومن المعروف أن الفيلم الأول قد منع في بلاده بريطانيا لاعتباره مجافيًا للذوق العام . ولكن مع تغير المفاهيم والظروف تقبل الناس النسخة الجديدة ببساطة النظرة إلى نوع التخيل العلمي. وهناك فارق كبير بين مورو في الفيلمين، ففي الفيلم الأول كان الطبيب مجنوناً وشاذًّا، أم في الفيلم الثاني فهو متعال أكثر منه مجنونا. وهو يريد إثبات تفوقه وعقدة الكبر، بإخضاع الآخرين، وسلبهم آدميتهم وإرادتهم. وفى عام ١٩٩٦ جسد مارلون براندو المعالجة الثالثة للفيلم من إخراج جون فرانكهايمر، وقد أضاف كاتبا السيناريو جون هيرمان شارير وآل هوبر إلى الفيلم شخصية، لم تكن أصلًا في الرواية

التي كتبها ويلز، ولا في الفيلم الأول، هي ماريا التي أحبت البطل وهربت معه. وقد أراد بهذا أن يضيف لمسة جمالية إلى الفيلم؛ لأن أغلب أبطاله مشوهون، وأن يزيد قصة حب إلى أحداث هي بالدرجة الأولى قاتمة.

هذه هى أهم الأفلام التي أخرجتها السينما عن المرحلة الكلاسيكية في أدب النوع، وهى كما عرفنا تتناول موضوعات محددة في هذا الأدب، قياسًا إلى ما عرفناه فيما بعد.

وفى الكتاب الذي نشره جيفورد عام ١٩٧١ بمناسبة هبوط أول إنسان فوق القمر، ذكر أن سينما التخيل العلمى قد أنتجت حتى عام ١٩٧٠ ٥٠٠ فيلم . إلا أن المقال الذي نشرته آن لويد في كتابها "سينما السبعينيات" قد أكد أن هذا الرقم قد تضاعف في السبعينيات، التي شهدت رواجًا منقطع النظير لأدب وسينما النوع . وتجئ صعوبة الحديث عن سينما التخيل العلمي؛ نتيجة لتدخل أنواع أخرى مع النوع، وقد تنبه رولان لاكورب إلى هذا الأمر فيقول إن الكثير من القصص قد صورتها السينما كتخيل علمي زائف مثل رواية

"رحلة إلى مركز الأرض" و"العالم المفقود" : هي روايات مغامرات تخضع لمتطلبات حبكة تقليدية لديكور أكثر شموخًا. وإذا ما انطلقنا من هذا المنظور، فسوف تتضح حقيقية عدد كبير من الأفلام المماثلة، "فمترو بوليس" و"الحياة في المستقبل" هما فيلمان ينتميان إلى اليوتوبيا السياسية، التي تشدد ليس على وصف مجتمع مكتمل في المستقبل، وإنما على صراع اجتماعي يقدم أصداء معاصرة سلسلة أفلام "كوكب القرود"، هو موضوع أقرب إلى القصة الفلسفية منه إلى التخيل العلمي . وحتى فيلم " اليوم الذي توقفت فيه الأرض" وهو عمل خصب ويعتبر من الأعمال الناجحة للنوع ، ليس إلا فيلما من أفلام الالتزام السياسي "بالنسبة لعصره"، بالإضافة إلى كونه من أفلام التخيل العلمي، والذي يرى فيه المتخصصون فيلما يخلو من الجرأة .

وإعادة النظر في هذه الأعمال التي تتناول التنبؤ هي شيء يخلو من أي تلاعب عقلي.. بل تفرضها في الواقع الروح التي تعالج بها الموضوعات من قبل السينمائيين؛ فلم يكن التخيل

العلمي بعد - لعقود كثيرة - نوعًا ناضجًا بما فيه الكفاية؛ لكي يكون جديرا باقتباس سينمائي في المقام الأول.

فكان لابد من إعطاء شرعية للمشروع بإدخال بعض الاعتبارات الفلسفية والسياسية أو حتى التجارية؛ فمختلف الاقتباسات في سلسلة "فرانكنشتاين"، مهما كانت براعتها، هي جميعا وقبل كل شيء حبكات قصصية، تتيح المجال لخلق جو الرعب.

أما "الرجل الخفي" فقد تم عمله أكثر من عشر مرات، منها فيلم لجون كاربنتر والدكتور "سيكلوب"؛ فالهدف منها ليس سوى إبراز الحيل السينمائية. بينما أفلام مثل "هى"، "تارنتولا"، "الوحوش الصخرية"، "فرسة النبي المميتة"، "جاء من أعماق البحار" هي أيضا مجرد حجة لإبراز تمويه خاضع لرمزية سياسية تتميز بالسذاجة، ولا يبرز من هذه المجموعة سوى أفلام "جزيرة الدكتور مورو"، وهو حدوتة مجازية رصينة ومقنعة، وإن كان المتعصبون للنوع يرفضون ربطه بالتخيل العلمي.

من الواضح أن سينما التخيل العلمى قد جرت وراء

المخترعات، فأخذت تتفنن في تقديمها بصورة متطورة؛ مما يعطى شكل المستقبل.. صناعة آلات ضخمة عملاقة. أو في المطارات أو المركبات الهائلة الصنع أو الغواصات أو الانفاق. والإنسان الآلى والكمبيوتر والاشعاعات والرقميات والأجهزة الحديثة، ومنها الهواتف والكمبيوترات المصغرة.

فالآلات الضخمة التي بدأت تجد لها مكانا في معاملنا ومصانعنا، لم تعد ضربا من التخيل مثل الآلة العملاقة، التي تقوم بصناعة السجق، التي ظهرت في فيلم يحمل العنوان نفسه عام ١٩٠١. لم تعد سوى آلة بدائية في المصانع، التي تعتمد على صناعات اللحوم. أما الأجهزة الضخمة التي صورها جورج ميليه في فيلمه "رحلة إلى القمر" عام ١٩٠٢، تبدو الآن شديدة البدائية، إلى جانب تلك الأجهزة العملاقة في محطات الفضاء بالولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى الأسبق. ومن أشهر الآلات التي تخيلها صناع السينما ما رأيناه في فيلم "العصور الحديثة" لشارلى تشابلن و" مترو بوليس" لفريتزلانج.

ولأن متروبوليس مدينة واسعة، فلابد أن تخدمها آلات بالغة الضخامة؛ من أجل أن تمد ناطحات السحاب بما يلزمها من كهرباء ووسائل راحة عصرية. وهذه الآلات يعمل عليها عمال كثيرون، لابد من السيطرة عليهم؛ كى يعملوا بنظام السخرة ولابد من قهرهم، حتى لا يفكروا مثلما تفعل الصفوة التي تسكن المدينة، ولو أن فريتزلانج قد أمكنه أن يخرج فيلمه عام ١٩٧٤ لاختلف الأمر .. ففى فيلم "البرج الجهنمى" لجون جيلرمين عام ١٩٧٤، يرى أن الآلات التي تخدم ناطحة السحاب الضخمة لا يلزمها كل هذا العدد من البشر، بل مجموعة بسيطة من الازرار، وأجهزة اكثر بساطة وتطورا.

ومن بين الأجهزة العلمية التى ظهرت فى تاريخ السينما هناك " مخبر الراديو" عام ١٩٢٦، وفيلم عن "الشرطى الكهربى" الذى ظهر فى الولايات المتحدة عام ١٩١١، وفيلم "فهرنهايت ٤٥١" لفرانسوا تريفو عام ١٩٦٦، الذى تنبأ بسيادة عصر الصورة فى التلفاز مما ينهى عصر القراءة، ويمكن الحكام من السيطرة على البشر من خلال برامج تافهة يمكن

بثها فى أجهزة التلفاز. وهناك أيضا الأجهزة الضخمة، التى جاءت من الفضاء لغزو الأرض فى أفلام "يوم الاستقلال" ١٩٩٦، و "هجوم المريخ" لتيم بيرتون وغيرها من الأفلام.

وعن أفلام المركبات. فسوف نرى أن هناك مراكب صعدت إلى القمر على شكل قطار، وذلك فى فيلم "دورة حول العالم" عام ١٩٠٤. والعربات الغريبة الشكل فى ثلاثيات "حروب النجوم" لجورج لوكاس، و "سوبرمان" لريتشارد دونر، و "الرجل الوطواط" باجزائه أيضا، و "الرجل العنكبوت" بأجزائه، وفيلم "الغريب" لريد لى سكوت عام ١٩٧٩، والأجزاء التابعة له. وأيضًا فى فيلم "٢٠٠١ أوديسا الفضاء" لستانلى كيوبريك. فى سلسلة هذين الفيلمين الأخيرين، مثلا رأينا سفن فضاء بالغة الضخامة. فنوسترومو فى "الغريب" تزن عشرين مليون طنًّا. يتحكم فى دورانها وحركتها عقل إليكترونى هائل، يعرف باسم "الأم" وهذا العقل يتحدث ويفهم ويحس ويسيطر على الجميع، مثلما كان يفعل العقل الإلكترونى هال فى فيلم كيوبريك، وهو يبلغ عن

أعطال السفينة السابحة فى الفضاء الواسع، ويلتقط إشارات الإنذار، ويعرف جميع الحلول.. لكنه لا يبلغها الى طاقم السفينة، الذى كان فى سباق طويل، إلا إذا شاء هو . فهو إذً عقل "لئيم" . ويمكن للسفينة نوسترومو ان تظل سابحة فى الفضاء سنوات طويلة؛ لذا فهى تضم كل ما يمكن لملاحيها ان يطلبوه. وفيها الردهات الطويلة الواسعة. ويبدو أن صناع السينما قد دهشوا بهذا النموذج، فكرروه أكثر من مرة منها فى فيلم " ساتيرن٣" لستانلى دونن عام ١٩٨١، ثم فى الجزء الثانى من فيلم " الغرباء" لجيمس كاميرون عام ١٩٨٦، وأفلام أخرى من النوعين نفسيهما، مثل: "اناروبوت" و"أنا أسطورة" وأيضًا فى «آفاتار» عام ٢٠١٠.

والمركبات الضخمة فى سينما التخيل العلمى لا تطير فقط خارج دائرة الأرض، بل يمكنها النزول إلى اعماق المحيطات، مثل غواصة الكابتن نيمو. ومثل غواصات ظهرت فى أفلام أخرى، منها ما رأيناه فى فيلم " الهوة السوداء" عام ١٩٧٩. وهى مركبات سهلة القيادة.. جميلة الشكل، مريحة لراكبها.

ومن أشهر هذه المركبات تلك السيارات المتطورة التى يقودها العميل السرى الإنجليزى جيمس بوند فى أغلب أفلامه. وأيضا هناك أفلام الأنفاق العملاقة، تعيش تحت هذه الأنفاق مجموعة من الناس، تقوم بتجارب علمية هائلة بعضها لخدمة الإنسان، والبعض الآخر لمحاولة تدميره والسيطرة عليه، مثل: النفق الهائل الذى صوره لويس جيلبرت فى فيلم " أنك تعيش مرتين فقط " عام ١٩٦٨ ومن هذا النفق الهائل تحاول عصابة الشبح السيطرة على العالم؛ فهناك محطة فضاء أرضية ضخمة من خلالها إطلاق صاروخ يتجه إلى الهدف، الذى تسعى إليه هذه العصابة.

وإذا كان الكاتب التشيكى كارل تشابك هو أول من اخترع كلمة إنسان آلى Robot فى مسرحيته R.U.R، فإن السينما قد سبقته فى تصوير الإنسان الآلى. كما أصبح هذا الروبوت الموضوع المفضل فى أغلب سينما التخيل العلمى . فهو فى كثير من الأحيان خادم مطيع للإنسان فى مجالات مختلفة من حياته.. ولكنه قد يتحول إلى عدو شرير، يطيح به ويقتله. ومن هذه الآلات فيلم " الخادم الكهربى " الذى ظهر

فى السينما وأيضا الثنائى ووكى وديدو فى ثلاثيات "حروب النجوم"، وهما تابعان للأميرة ليا وللرجلين، اللذين يسعيان إلى إعادتها لكوكبها المغتصب إنهما لوك سكاى ووك وهان سولو. وأهم ما يميزهما هو المشاعر الإنسانية، التى يحسها كل منهما، اما تجاه الآخر أو آزاء الآخرين. ويتمتع ديدو بصفات صاحبه الآدمى نفسها سكاى ووك. فهو أرعن مثله. يندفع وراء أشياء مجهولة لا يعرف كونها، مما أدى به أن يفكوه ويلقوا به إلى الأتون قبل أن ينقذه صديقه ووكى. ويمثل الثنائى الآلى هنا روح الفكاهة والدعابة السلسة، وقد صرح لوكاس أنهما تجسيد تخيلى علمى لكل من لوريل وهاردى. وهو اختيار يمكن به إثبات أن الإنسان الآلى يمكنه أن يبدو بشريًّا مثل الإنسان، كما قال لوكاس أيضا " لقد بلغت هدفى.. وذلك أن اكشف للشباب أن اكتشاف الفضاء لا يعد مغامرة علمية فقط. ولكنه اكتشاف عاطفى وشاعرى فإذا رحل أحد الملاحين يوما إلى المريخ فسوف يردد : لقد فعلت هذا لأننى آمل أن أقابل ووكى.. وعندما سيحدث هذا سأكون سعيداً".

أما أشهر نماذج الإنسان الآلى الشرير، فهو أقرب فى صورته إلى البشر، وذلك فى فيلم "الغريب" فهو آش الرئيس الفعلى لسفينة الفضاء نوستر ومو، فهو الذى طلب الاحتفاظ بالحيوان الغريب، عندما أتوا به من كوكب موبوء فى أول أطواره بدعوى فحصه ودراسته، وهو يهاجم الدكتورة يبلى ويضربها لأنها بدأت الارتياب فيه. وهى التى تكشف حقيقته فى النهاية، عندما يصطدم بالحائط فتنفصل رأسه عن جسده، فهو إنسان آلى مصنوع من أسلاك كهربية. وعندما يعيدون اسلاك آش تتكلم رأسه قائلة إن الغريب جسم مثالى فهو قادرعلى الحياة الأبدية، وأنه كائن بلا ضمير أو أوهام تفسد عليه سلوكه، وهو سيعيش أبدا. ويخبرهم انه إنسان آلى صنعته إحدى الشركات التى أنتجت نوستروموا؛ كى تجلب من الفضاء أشياء يمكن بها التحكم فى الأرض واستغلالها فى حروب العوالم .

وهناك إنسان آلى أخر مصنوع فى صورة إنسان فى فيلم "رجل الغرب"، الذى أخرجه وكتبه مايكل كرايتون عام ١٩٧٣. وتدور الأحداث هنا فى مدينة ديلوس الأقرب إلى

ديزنى لاند. وهى مشروع معمارى كبير أنشئ بهدف الترفيه عن الزوار مقابل ألف دولار يوميًا؛ أى إن المترددين هنا ليسوا سوى النخبة. والبرنامج فى ديلوس اختيارى، فالزائر قد يعود إلى القرون الوسطى فى أوربا، أو يمكنه الذهاب إلى إحدى مدن الغرب فى عام ١٨٨٠، والمدينة مليئة بنماذج الإنسان الآلى. وجزلنجر الإنسان الآلى يمكنه أن يرفع مسدسه ويشهره فى وجه الزوار. وعندما يصاب، يذهبون به الى ورشة الإصلاح .. ومثلما تمت برمجة آش فى " الغريب"، فإن الأمر نفسه يحدث لجزلنجر، الذى تخطئ برمجته فيصبح من الصعب السيطرة عليه أو التحكم فيه، فيطارده أحد الزوار داخل كل العصور التى يمكن الذهاب إليها فى ديلوس .

كما أن سلسلة أفلام " الجهنمى" قد صورت العديد من الروبوتات الشريرة، خاصة فى الجزء الأول الذى أخرجه جيمس كاميرون، فهو آلى مبرمج جاء من عام ٢٠٢٧ إلى عام ١٩٨٤، من أجل قتل امرأة، حامل فى طفل سيكون عبر الزمن قائداً للثورة فى القرن الحادى والعشرين؛ ولذا يجب

التخلص منه قبل أن يولد عن طريق قتل الأم، ويقوم الروبوت بمطاردة الأم، التى يحاول رجل من المستقبل من أنصار الثورة أن يحميها، وسوف يتحول الروبوت إلى كائن طيب فى الجزئين الثانى والثالث من السلسلة قبل أن يختفى فى الجزء الرابع.

فى كتاب دينيس جيفورد عن فيلم التخيل العلمى، وضع القسم الأول تحت الآليات الضخمة، التى ظهرت فى سينما النوع . أما القسم الثانى فهو حول الاكتشافات العلمية، وينقسم بدوره إلى موضوعين. الأول حول الغزو الخارجى لكوكب الأرض، أما الثانى فهو عن غزو الإنسان للفضاء الخارجى . ويعتبر الغزو الأرضى من كائنات أخرى عاقلة أو غير عاقلة قادمة من الفضاء أكثر الموضوعات انتشارًا فى سينما التخيل العلمى؛ فالعلم يحاول اثبات ان هناك عوالم أخرى من حولنا تعيش فى مجرات بعيدة أو قريبة، تعيش فيها مخلوقات تحاول الاتصال بنا. وقد قدمت السينما كل تصوراتها حول هذا الاتصال، وحول أشكال هذه المخلوقات، فبدت هلامية

فى فيلم " لقاءات قريبة من النوع الثالث" عام ١٩٧٧، ثم E.T. عام ١٩٨٢ وهما من إخراج سبيلبرج؛ حيث بدت هذه المخلوقات بشعة الشكل جميلة المشاعر طيبة القلب. وهذه الشخصيات ذات قوى خارقة بالطبع مثل " سوبرمان" الذى يستمد قوته من معدن الكربتون اسم الكوكب القادم منه.

وقد نوقش موضوع الأطباق الطائرة، أو كما تسمى ببعض اللغات الأوربية بالأشياء الطائرة المجهولة الهوية UFO أو OVNI فى عديد من المحافل العلمية وهو موضوع الساعة فى الدوائر المختصة. وقد اختلفت حوله الآراء، لكن أغلب العلماء يؤكدون أن هناك عوالم أخرى، غير عالمنا تعيش فيها مخلوقات أخرى، تحاول التعرف على ما يحدث فى الأرض. وقد صدرت مجموعة من الكتب حول هذه الظاهرة تدافع عنها وتحللها، وتؤكد أن هناك اتصالًا فضائيًا بسكان الأرض، مثلما قال البير ديكروك فى كتابة "الحلقة الزرقاء" إن هناك أجهزة قد رصدت إشارات، تصدرها كائنات حية تعيش فى عوالم أخرى، وأن طريقة التخاطب مع هذه

الكائنات هى الصور المشعة. وهناك نوعان من هذه الصور : البطاقات التى تضم صور إنسان أو حيوان، أما الصور الثانية فهى اشارات رمزية، وهى يراد استخدامها الآن.

ونحن لا نريد الإسهاب فى تأكيد وجود هذه الكائنات؛ لأن الذى يهمنا هو كيف قدح السينمائيون خيالاتهم لتصوير هؤلاء الغزاة. فالبروفسور لاكومب فى فيلم "لقاءات قريبة"، ينتقل بين عدة بلدان بحثا عن تفسير لظواهر كونية حدثت فى الأرض. ففى المكسيك تهتدى بعثته العلمية إلى العثور على سرب من الطائرات العسكرية الأمريكية، اختفت قبل ثلاثين عاما فى ظروف غامضة. وعند فحص هذه الطائرات، يجدون الخزانات مليئة بالوقود وان المحركات تدور بالضغط على مفاتيحها. اذن فالطيارون لم يقتلوا وإنما اختفوا.. يردد هندى عجوز أنهم ذهبوا إلى السماء.

وفى الهند تواصل البعثة دراستها، فهناك قبيلة يترنم أفرادها بنغمات غريبة على الآذان كأنها قادمة من عالم آخر. يقول قائد الجماعة إن مصدر هذه الإشارات يجئ من أعلى.

وفى معمله، يسجل لاكومب إشارات صوتية، يحولها إلى إشارات بالأيدى، فتصبح أشبه بما كان يفعله الهنود، وفى الولايات المتحدة توجد أيضًا أشياء متشابهة.

استيقظ الطفل بارى على صوت موسيقى، بدأت تحرك كل الأشياء فى منزله. مثل قطاره الآلى وعلب المشروبات التى تفتح من تلقاء ذاتها. يخرج بارى إلى الطريق، وكأن شيئا يشده لرؤياه. وعندما تخرج أمه جيليان للبحث عنه يسود المدينة ظلام دامس غير معروف السبب. وعندما يستقل خبير الكهرباء روى سيارته بحثًا عن السبب، يروعه حدوث أشياء غريبة.. أشياء تتحرك بجانبه كأن قوى غريبة تحركها.. أضواء غريبة تملأ المكان. أجسام مضيئة تعبر السماء بسرعة وسيارات الشرطة تفشل فى اللحاق بها، وبعد هذه المطاردات تعود الأضواء وحدها، كما انقطعت من قبل.

كل من شاهد هذه الأجسام المضيئة يصبغ جزءاً من وجهه بلون قرمزى، كأنه نام طويلا تحت أشعة الشمس، مثل جيليان وابنها ومعهما روى الذى يتصرف بغرابة بعد هذا

الحادث.. أما جيليان فتتعرض لموقف آخر أكثر إثارة، عندما تحوط بمنزلها من جديد ظواهر غريبة.. ضوء قرمزى قوى فى الليل . ومسامير البالوعة تنزع. ثم يختفى بارى من أحد الأبواب وكأن يدا قوية تشده وتصبح الأم منجذبة لشىء ما لا تعرفه؛ فهى ترسم بلا إرادة صورا لجبل ذى قمة بركانية . أما روى فيجمع الطين من حديقته؛ كى يجسد جبلًا مشابهًا داخل منزله بعد ان هجرته زوجته لسلوكه الغريب .. ويرى يوما فى التلفاز نفس الجبل من خلف المذيع الذى يعلن ان مدينة ويومنج- القريبة من الجبل – قد هوت بها طائرة تحمل شحنة من الغاز الخانق، وأن السلطات أصدرت أمرًا بإخلاء المنطقة.

وعندما يذهب روى إلى ويومنج، يلتقى بجيليان التى جاءت تبحث عن ابنها، ويقرران معًا الصعود إلى الجبل؛ حيث يريان فى القمة أشياء غريبة. فهناك محطة فضاء أرضية كبيرة تتصل بكائنات أخرى، عن طريق إشارات صوتية ونغمات موسيقية أشبه بالتى سجله لاكومب فى الهند . هذه

النغمات هى وسيلة التفاهم من ساكنى هذه الأجسام، التى تحط على الجبل وتنزل منها كائنات صغيرة الحجم، بها بعض ملامح البشر، الرأس المستديرة الصلعاء. والأجسام البشرية والعيون، إلا أنه من الصعب تحديد هويتها . تتبادل التحية مع لاكومب، تصعد إلى الطبق الطائر مجموعة جديدة من العلماء؛ كى تذهب لزيارة عالم آخر عن كرتنا الأرضية.

وقد تحدث ستيفن سبيلبرج عن هذه التجربة قائلًا: "ولدت عام ١٩٤٧.. فى العام نفسه الذى أبدع فيه كينث ارنولد لفظ "أطباق طائرة"، وبعد عشرين عاما من هذا التاريخ، لم أكن أصدق زملائى الذين يشاهدون جسما طائرا. وقبل أن أكتب فيلمى. كنت أشك فى صحة هذا الموضوع؛ فبدأت أقرأ كل الكتب عنه. كنت أكثر جنونًا وجدية، وقابلت الكثير من شهود العيان والعلماء والمرشدين، ومعهم الدكتور هاينك أكبر خبراء الفضاء فى العالم. أيقنت الآن أن هناك بعض الظواهر تظل غير قابلة للتفسير، وبدأت أقتنع بأن الأطباق الطائرة، التى يقودها الرجال ذوو البشرة الزرقاء سوف تمر يوما على كوكبنا، وهذا ما اتمناه".

أما غزو الإنسان للفضاء الخارجى، فقد ذهب فيه الإنسان إلى أماكن بعيدة، راح يتصور فيها انه يمكن الحياة فى هذه النجوم والكواكب والمجرات، وأنه يمكن أن ينقل إلى هناك صراعاته ووسائله المعيشية ويحولها إلى أرض أخرى. ومنذ سافر ابطال جورج ميليه إلى القمر عام ١٩٠١، ورواد الفضاء والمغامرون لا يكفون عن شق حاجز الأوزون. وقد سافرت إلى الفضاء الخارجى كل من باربارياللا، وآبوت وكوستللو وإسماعيل يس، وجيرى لويس . ولكن أشهر أفلام الذهاب إلى الفضاء الخارجى كانت "٢٠٠١ أوديسا الفضاء" و"الغريب"، ثم ثلاثيات حروب النجوم التى أنتجها جورج لوكاس، ومسلسلات وأفلام "رحلة إلى النجوم" Star Trek، التى جاءت من التلفاز إلى السينما بعد نجاحها الذى حققته. ويعود نجاح هذا العمل إلى جين رودنبرى، الذى كتب السيناريو، وأنتج هذا العمل للتلفاز الأمريكى فى حلقات طويلة عديدة. وابتدع الشخصيات التى يضمها المسلسل وتساعيته السينمائية، والتى حولها يتحدث قائلا "الربان" رجل يحب الحركة، ويعى كل المسئولية التى نتجت

عن عزلته فى الفضاء . أما رقم ٢ فهى امرأة تمتلك رأسا مبرمجة كالعقل الإليكترونى. الطبيب : رجل تملؤه الرقة قياسًا بالنسبة للأجانب المسافرين. والسيد سبوك صاحب السفينة المنافسة. ذو أذن حادة ونظرة ثاقبة. والمهمة فى هذا العالم هى غزو العالم حتى أطرافه.

وعندما تبدأ الرحلة، يشرحون لسكان الأرض أنه أمام مليون كوكب، توجد نظم شمسية أخرى؛ لذا فمن الموضوعى أن يقابلوا أشكالًا من الحياة تماثلنا؛ مما يسمح لى بالاحتفاظ بعمل مقنع ليس فيه الديكورات الغريبة.

كانت المشكلة الأولى هى اختراع سفينة فضاء ذات شكل جديد، تظل فى المقدمة رغم كل التقدم التقنى. وبعد الاستعانة بآراء عديد من المتخصصين، اخترنا نموذجًا يشبه نحلة تخترق فلتر سجائر.. شكلها العلماء المتخصصين فى سفن الفضاء، وهذا الهيكل موجود فى المتحف الجوى. أما الأجهزة الإليكترونية فتباع فى محلات اللعب، وتمثل أفضل اللعب، عن مثيلاتها خلال السنوات العشر الأخيرة.

ويقول الكاتب أيضا أنه، بفضل التخيل العلمى، قد تناول مسلسل "رحلة إلى النجوم" موضوعا محرما، ففى إحدى الحلقات تقابل أبطال المسلسل – رواد الفضاء – مع كوكب يعيش بنظام حكم ولايات الجنوب الأمريكى؛ حيث يعيش البيض فى مقدمة المجتمع . أما الزنوج فيعملون فى المناجم دون أن تكون لهم السلطة فى الخروج منها، وعندما يتم القبض على الملاحين.. فإنه يزج بهم إلى المناجم: فليس من المدهش أن تقرر شركة بارامونت أن تعدها فيلمًا. فى البداية قدم لها الفيلم فى مشروع صغير، وبعد نجاح "حروب النجوم"، قررت الشركة إنتاجه كفيلم ضخم الإنتاج يتكلف ثلاثين مليون دولار، وكان يمكن لهذا الفيلم أن يتكلف أكثر. وقد أهمل الفيلم كل أجواء أفلام الغرب، التى كانت تملأ المسلسل، وقد ظلت هذه السلسلة تتابع إنتاجيًا فى السينما حتى عام ٢٠١٠ .

أما القسم الثالث من الأقسام التى تحدث عنها جيفورد فهو حول المستقبل.. هذا المستقبل، الذى سنراه من خلال

آلات الزمن، وسلسلة "كوكب القرود" و"حروب النجوم" والانفجار النووى، وما يمكن أن يحل بالأرض اذا اندلعت الحرب العالمية الثالثة. ونستطيع أن نقول إن أغلب أفلام التخيل العلمى تتحدث عن سنوات المستقبل، وتعتبر القنابل النووية هى عماد هذا النوع من الأفلام؛ فالخوف من الانفجار النووى القادم قد ألهب خيالات السينمائيين مثلما فعل مع الأدباء . مثلما حدث فى فيلم "على الشاطئ" لستانلى كرامر عام ١٩٥٨، حول ما يمكن أن يحدث حين تبحر إحدى الغواصات فى أعماق المياه، وبينما هى تغوص فى البحار فإن الحرب الذرية تندلع وينتهى العالم. ويخرج ربان السفينة ليجد الفناء قد ساد.. إلى هذا الفناء جاء رجل إلى مدينة خالية تمامًا من السكان.. إلا من رجل وامرأة . المدينة مات كل سكانها عقب اندلاع الحرب الذرية، فى فيلم " عالم وجسد وشيطان" من إخراج وتأليف رونالد ماكدوجال عام ١٩٥٩. وفى هذه المدينة يقوم بين الرجلين الباقيين على قيد الحياة صراع من أجل امتلاك المدينة الساكنة والمرأة، التى ترقب الصراع بهلع،

فيموت الاثنان وتكون الحرب الذرية قد تحققت بالفعل وبانتهاء الحياة. وفى فيلم"يوم أن طفت الأسماك" لمايكل كوكاينيس نرى حكاية قرية صغيرة تأتيها مجموعة من السائحين؛ ليرقصوا فيها ويغنوا ويقضوا وقتا ممتعا. إلا أن قنبلة ذرية قد انفجرت أسفل المياه فتركت أثارها التدميرية حيث قتلت الأسماك . وبدأت تهدد بتلوثها الذرى الحياة فى المكان كله. وحول الموضوع نفسه قدم روبرت وايز فيلمه "خلية أندروميدا" عام ١٩٧١، حول مرض آتٍ من الفضاء الخارجى يهدد البشرية؛ مما يعنى أن نهاية العالم المقترحة ليست من صنع القنابل الذرية. بل هى قادمة من عالم آخر يسعى للسيطرة على الأرض سواء كان المرض أو المخلوقات العاقلة أو النيازك، مثلما حدث فى فيلم " النيزك" لرونالدنيم عام ١٩٧٨. وقد تجئ نهاية العالم من " تجمد مياه العالم" عام ١٩٥١، أو من انحراف الأرض عن محورها، أو من أشياء قريبة من هذا القبيل.

وستكون نهاية العالم مغايرة الشكل فى عام٢٠٢٠ فى فيلم

"الشمس الخضراء" لريتشارد فليشر عام ١٩٧٢، وهو فيلم مأخوذ عن رواية لهارى هاريسون، وفيها يتصور الفيلم أن مدينة نيويورك قد بلغ عدد سكانها أربعين مليونا، وأنه فى هذا الزمن أصبحت الخضرة شيئًا من فعل الماضى. وبالتالى فقد أصبح الطعام الطبيعى شيئًا غير موجود إلا فى بعض بيوت الصفوة من علية القوم مثل الرجل الذى مات لأنه كان ينوى إفشاء سر السولينت الأخضر، وهو الطعام الوحيد الذى تأكل منه المدينة . أما المفتش الذى يجرى التحقيق، فإنه محظوظ لأنه يدخل بيت هذا الرجل، ويتمكن من التقاط قطعة لحم أو قطعة صابون يغتسل بها.. ويمكنه أيضا الاستحمام بماء.. وعندما يكتشف ان المؤسسة الحكومية تفرض سرية شديدة على سر الطعام، يسعى إلى معرفته فيقابل بتعتيم شديد. وعندما يذهب خلف أستاذه الذى مات لتوه، يفاجأ أن الغذاء الصناعى ليس سوى قطع مصنعة من لحوم الآدميين، الذين ماتوا لتوهم.

وتأتى نهاية العالم فى فيلم "رجل الأومجا" لبوريس

سيجال عام ١٩٧١ من حرب الجراثيم العالمية، التى تأتى على العالم. وتدور الأحداث فى مدينة لوس انجلوس؛ حيث تظهر مجموعة جديدة من البشر الخفافيش سكان الليل، الذين يهاجمون من لم تمسهم حرب الجراثيم ليلًا . والفيلم مأخوذ عن رواية لريتشارد ماتسيون بعنوان " أنا أسطورة"، وقد أعيد إنتاج الرواية نفسها فى عام ٢٠٠٦ بشكل مختلف .

وعن هذه المخلوقات المتوحشة التى تظهر بعد اندلاع الحرب العالمية، مهما كان شكلها، قدم روبرت كلاوز فيلمه "المحارب الأخير" عام ١٩٧٥، وهى تتصارع هنا من أجل امتلاك البذور، التى يمتلكها فريق آخر بحثًا عن زراعتها.. ومن أجل هذا الكنز الثمين، تقوم معارك دامية بين الفريقين هى بقايا الحرب الذرية الشرسة، ويمكن للجانب الشرير أن يجرى وراء امرأة حامل من أجل عقرها؛ خوفًا من الوليد الجديد بعد الحرب، أنه قادم مشوه بكل تأكيد .

وقد أمكن لاجناس متعددة أن تقوم بإزاحة النوع البشرى، مثلما أزاحت النوع البشرى فى سلسلة "كوكب

القرود"، وهى سلسلة سينمائية بدأت بفيلم "كوكب القرود" لفرانكلين شافنر عام ١٩٦٨.. وفيه يكتشف تايلور الملاح الذى غاب فى الفضاء لسنوات طويلة أن الكوكب، الذى حطت عليه سفينته هو الأرض، التى تحولت إلى قطعة من الصحراء الجرداء، أما البقايا الخضراء فتسكنها القردة التى أصبحت كائنات عاقلة، وتتمكن من سبى العنصر البشرى وإذلاله. وفى احد هذه الأفلام "ثورة كوكب القرود" التى يتمكن فيها النوع البشرى من السيطرة مرة أخرى على الأرض، بعد أن يقوم بثورة منظمة فى كوكب القرود، وهى الفكرة نفسها التى أعاد روجر ويت إخراجها عام ٢٠١١ تحت اسم "سطوع كوكب القرود"

أما فى فيلم "phase 2" الذى اخرجه صول باص عام ١٩٧٤، فتتم إزاحة الجنس البشرى من الوجود، بواسطة جنس من النمل ازداد ذكاء، إما بواسطة طفرة مفاجئة أو بتدخل سكان الفضاء الذين لجأوا إلى هذه الوسيلة للقضاء على الجنس البشرى. وقد كانت فكرة نهاية العالم تمارس دائما

سحرًا مفهومًا على عقول الناس، وقد تطورت بواعثها النظرية ببساطة وأصبحت متماشية مع روح العصر؛ فقد كانت نهاية العالم قبل سنة ١٩٥٠ تنتج عن حادث كونى غير محتمل رياضيا، قبل عدة ملايين من السنين. ويقوم فيلم"حرب العوالم" لابل جانس عام ١٩٣٠، و "صدام العوالم" لرودلف ماتيه عام ١٩٥٠ على هذه الفكرة . منذ هذا العام بدأت هيروشيما تسيطر على الأذهان، ولم تعد نهاية العالم تأتى إلا بسبب كارثة نووية. وقائمة الأفلام المستوحاه من مثل هذه الفكرة طويلة. وقد ظلت هذه الفكرة سائدة دومًا فى السينما تجدد نفسها مثلما فعل سبيلبرج فى فيلم الاسم نفسه عام ٢٠٠٥، فقد وعى الناس اليوم فجأة بخطر أكثر توقعا، ألا وهو الكساد والمجاعة والانفجار السكانى.. ومن الآن فصاعدا يتصارع الناس على قطعة أرض لا تزال قابلة للزراعة، كما يحدث فى فيلم "ولانبتة عشب" ١٩٧٠ لكورنيل وايلد، والذى يشبه معناه إلى حد كبير فيلم "ذعر فى العام صفر" لرأى ميلاند، مستبدلا الحرب الذرية بموت العشب والحبوب فوق سطح الكوكب. وإذا كان التهديد الذرى لا

يزال فى الافق، فهو " الحل النهائى" الذى تملكه الحكومات؛ للتخلص بلا ألم من الفئة العاملة وإنقاذ " الصفوة من الدمار".

ولو رجعنا إلى التقسيم الذى أجراه جيفورد لسينما التخيل العلمى، سوف نجد أنه قد أهمل اختراق خيال السينمائين للعلوم لمجالات متعددة وعلوم أخرى مثل الطب وعلم النفس وعلوم الكومبيوتر والرقميات وغيرها . ولو تناولنا مجال الطب مثلا، فسوف نرى أن هناك بعض الأفلام قد مزجت التخيل العلمى بالفنتازيا مثلما حدث فى "فرانكنشتاين".. لكن الشخصية الرئيسية الدكتور فرانكنشتاين تعمل فى مجال علمى موقر وحسن السمعة، وهو يقوم بنقل قلب كلب إلى جسد إنسان ميت لتوه قبل أن يفعل الدكتور كريستيان برنارد ذلك بأكثر من مائة وأربعين عامًا، ونجح الدكتور فرانكنشتاين فى خلق جسد انسان متكامل من اشلاء جثث أخرى " وكان نفسه أول من يتحول إلى مهموم وسواس ، خائفًا متشككًا محايدًا مدركًا لحقيقة اختراعه،

ولا أهمية كبيرة للإفاضة فى مدى جدية المضمون أو عمق تحذيره؛ مما ولد وسمى فيما بعد "الهندسة الوراثية".

أما الدكتور جيكل، فهو أيضا طبيب يعيش في مجتمع ويحترم المهنة التي يمارسها. وهو إنسان طيب يهتم بالبحث العلمى في المقام الأول، وذلك في رواية "دكتور جيكل ومستر هايد" لروبرت لويس ستيفنسون، التي ظهرت في السينما أكثر من خمس وعشرين مرة بدأت عام ١٩٠٨. ويدفع شغف الطبيب بالبحث أن يخترع أكسيرا يمكنه أن يحول الإنسان الطيب إلى مخلوق شرير، وهو إنسان خفاشى لا يظهر سوى في الليل. وعلى السينما أن تصور المخلوق الشرير بشعًا من الداخل والخارج، وهو مفهوم ساذج. ورغم المعالجات العديدة التي قدمتها السينما حول هذه الرواية، إلا إن السيد هايد ظل دومًا ذا الوجه القبيح والشعر الكثيف.. وما يهمنا هنا أن الدكتور جيكل الذى اشتغل بالعلم قد استطاع من خلال تجاربه – وخيال الكاتب – أن يبتدع شخصًا جديدًا.

ومثلما كان الدكتور جيكل طموحًا للاستفادة من علمه في تغيير الأشياء من حوله، فعل أيضا الدكتور مورو في فيلم

"جزيرة الدكتور مورو"، ولكن أشهر أفلام الطب هى "الغيبوبة" لمايكل كرايتون، ثم "الرحلة العجيبة" لريتشارد فليشر عن رواية لإسحاق آزيموف، فضلًا عن فيلم " تغيير الدماغ"، وفيلم " تشارلى" لرالف نيلسون، ثم " محلل نفسى للرئيس " الذى أخرجه جاك فليكر عام ١٩٦٨.

في فيلم " الغيبوبة"، قدم كرايتون تجربة الإتجار في الأعضاء البشرية في المستشفيات الاستثمارية بالولايات المتحدة، وذلك في إطار أجواء بوليسية مليئة بالمطاردات؛ مما قلل من جانب التخيل على حساب عنصر الحركة التي امتلأ بها الفيلم.. وهذه النقطة مثيرة للنقاش . فهل يمكن أن يجلب عنصر الحركة مريدين جدد لأدب وسينما النوع؟ لا شك أن أجواء الإثارة في هذا الفيلم، قد غلبت أجواء التخيل العلمى... وما حدث في مستشفى بوسطن من استغلال لأعضاء المرضى، الذين تتم إماتتهم والاحتفاظ بأجسادهم في مخزن خاص.. هذا الأمر يمكن أن يحدث في أى مستشفى. لكن قيام الطبيبة بمغامرات بوليسية، قد قلل كثيرا من التخيل

العلمى. وقيمة هذا الفيلم في سينما النوع أن أحداثه تدور في زماننا المعاصر، وفى وقت يمكن للإنسان التبرع بأحد أعضاء جسده، أو الاستعانة بأعضاء المرضى الذين لا شفاء لهم.. أى إن التخيل العلمى في هذه الحالة ظاهرة آنية، يمكن أن تحدث الآن، وأنه ليس محصورا فقط على ما يمكن إن يحدث في المستقبل . مثل هذه الحالة يمكن أن نراها أيضا في فيلم "محلل نفسى للرئيس"، الذى يفترض أن رئيس الولايات المتحدة قد أصيب بحالة اكتئاب نفسى، فاستجلب إلى البيت الأبيض محللًا نفسيًّا يقيم به بصفة دائمة كى يتولى علاجه. وتدور أحداث الفيلم فى الحاضر. ورغم أن هذا لم يحدث الآن، إلا أن خيال الفنان قد ذهب إلى البيت الأبيض، وتنبع أهمية هذا التخيل السياسى فى السؤال عن: ماذا يمكن أن يحدث لو؟!

أما فكرة فيلم "تغيير الدماغ" عام ١٩٧١، فهى تقوم على أن رجلا أبيض تمت عملية نقل مخ رجل أسود إليه، فأخذ يفكر بأسلوبه، وهى فكرة قديمة سبق حتى لبعض الأفلام العربية أن تناولتها فى الخمسينيات، حين أحب حسين صدقى

الطبيب المريضة بالقلب فى فيلم «الحبيب المجهول». وعندما ماتت زوجة أحد أصدقائه قام بنقل قلبها إلى قلب زوجته المتهالك.. وبعد أن تعافت تخيل أن هناك تحولا من قبل ليلى إلى صديقه.

وقبل أن تقوم السينما برحلة داخل الجسد البشرى فى كبسولة صغيرة، من خلال فيلم "الرحلة العجيبة" عام ١٩٦٨، قدم فرانكهايمر قبل عام، فيلمًا مهمًا بعنوان "ثوانى" قريب فى فكرته من هذه الموضوعات..فهناك رجل عجوز يعيش هانئا مع زوجته. تقوم إحدى المؤسسات الغامضة بالاتصال به لتتفاوض معه على إعادته إلى سن الشباب.وبعد أن يقبل على مضض يدخل غرفة العمليات؛ ليخرج شخصًا مختلفًا تمامًا.. يحمل هوية أخرى.. وملامح جديدة.. وشبابًا وحيوية.. وفى المصحة التى ينضم إليها يكتشف ان كل من حوله أقرب إليه.. بمعنى أنهم كانت لهم شخصيات أخرى فيما قبل. وانهم يتكيفون مع عالمهم الجديد.. ويعرف أن صديقا قديما تصور أنه مات هو الذى رشحه للقيام بهذه

التجربة . ويتعرف جانيس فى شخصيته الجديدة على امرأة، تراقصه يدرك أنها لا تختلف عمن حولها. والمشكلة التى أصابت الرجل هى انه لم يتكيف مثل الآخرين مع شخصيته الجديدة؛ فرغم تغيير الثوب الخارجى الذى ارتداه جسدا . إلا أنه يتوق إلى شخصه القديم؛ فيذهب إلى بيت زوجته- أو أرملته- ويحدثها عن زوجها – المفروض أنه راحل – ويشترى أحد مقتنياته.. وعندما يعود إلى المؤسسة، يطلب أن يغيروا من شخصه إلى إنسان ثالث؛ لأنه لم يستطيع التكيف.. وفى النهاية يجرونه إلى غرفة العمليات من جديد .. ليس من أجل تغييره هذه المرة .. بل لقتله.

فكرة فيلم "ثوانى" تدور فى الحاضر الذى نعيشه، وبطل الفيلم يمكن أن يعيش بيننا؛ بما يعطى معنى أن أكثر أفلام التخيل العلمى، التى أتخذت من الطب مجالها، كانت تدور فى "الآن" أكثر من سنوات المستقبل، وربما لهذا لا يضعها الكثيرون فى الحسبان. ومثل هذه الأفلام تحمل أفكارًا أكثر من مثيلتها من الأفلام الأخرى فى أدب وسينما النوع . وفى السينما

العربية، كان الفيلم العربى الذى ينتمى إلى النوع حول طبيب أيضًا.. وهو يدور فى الحاضر .. تحت عنوان "قاهر الزمن" لكمال الشيخ عام ١٩٨٧، الطبيب حليم صبرون هنا يملك إحدى المستشفيات، الخاصة فى حى حلوان بالقاهرة. ويقوم أتباعه بتهريب جثة مريض مات لتوه إلى منزله، كما أن الصحفى، الذى يقوم بإجراء تحقيق عنه يختفى فى ظروف غامضة؛ خاصة أنه أعلن ذهابه لمقابلة الدكتور حليم. مما يدفع بابن خال الصحفى، وهو الباحث التاريخى كامل الذى يتمكن من دخول منزل الطبيب؛ ليعرف أن هذا الأخير يقوم بإجراء تجارب جادة، مفادها تجميد الإنسان لبعثه فى فترة زمنية قادمة.

وفى هذا الفيلم ذهب كامل إلى الفيلا "بحثا عن مغامرة صحفية، رغم أنه يتفرغ لعام كامل لتأليف كتاب عن بعض الظواهر الفلكية". أما فى الرواية، فإن حليم يسعى الى استقطاب كامل لمنزله؛ كى يقوم بتأريخ أبحاثه لأن ابنة أخيه زين تعبت من التأريخ. ولأن كامل هو راوية الأحداث فإنه

لا يفهم سر الدكتور حليم.. يراه تاره شخصًا شريرًا غامضا مثل تجاربه، وفى أحيان أخرى إنسانًا طيبًا يعمل لخدمة البشرية. ولأن الكاميرا هى الراوى فى الفيلم فقد اختلفت هذه الرؤية لأن الكاميرا محايدة.. أما الراوية الأدبى، فهو يعبر عما يراه حتى تتكشف الأمور.

فى أفلام التخيل العلمى، يلعب المكان – غالبا – دور أحد الأبطال الرئيسيين؛ فهو الاطار الذى تدور فيه التجارب العلمية أو ينتقل اليه البشر.. والمكان فى "قاهر الزمن" مغلق معزول.. كئيب.. تحوطه الأسوار، وتحرسه كلاب متوحشة. وفى أعلاه محولات كهربية بالغة القوة. وهو نائم فى حضن الجبل. من الخارج أشبه ببيت عادى، وثمة باب يؤدى إلى مقبرة شبه فرعونية يتم فيها الاحتفاظ بحضانات التجميد. وهو يحوى أشخاصا غامضين، مثل مرزوق الممرض، الذى نعرف فيما بعد أنه طبيب ناجح هارب من العدالة، بعد أن كان سببًا فى قتل أحد مرضاه.. وهناك الفتاة زين – آثار الحكيم – ابنة الطبيب وسكرتيرة وخادمة، وعم عبده الذى لا يفهم شيئا مما يدور حوله .

أما الشخصيات التى تدور فى فلك هذا العالم – المكان والفكرة العلمية – فهم أقل أهمية إلى حد ما؛ حيث إن الإنسان دائما حقل تجارب، مهما كان العمل مصنوعًا لخدمة البشر؛ لذا ليس من المجدى أن يتساءل عن تطور الشخصية دراميا أو عن مفهوم الخير والشر بمنظور تقليدى، "فطوال الفيلم هناك تساؤل عن السمات التى يتمتع بها الدكتور حليم ومساعده مرزوق، فهما أحيانا شريران أشبه بزعماء العصابات، أحدهما قوى الجسم تلمع عيناه بالشر. وأحيانا أخرى تراهما يتحدثان عن الخير للعالم. وعن أهمية عملية الموت التى تمت فى المعمل من أجل الهدف الأسمى، ومن المعروف أن علماء من طراز حليم لا يفهمون الخير بقدر نجاح تجاربهم؛ لأن الخير يتمثل فى مقدرة تحقيق هذا.. إنه إنسان شرير . وقد جاء تفسير مقنع على لسان الطبيب أن الناس، الذين يموتون من أجل العلم أقل بكثير، ممن يموتون فى الحروب أو فى حوادث المرور اليومية.

وفى مثل هذا النوع من الأفلام، يستعين المخرج دومًا

بعلماء لهم خبرتهم فى المجال العلمى، الذى يناقشه وأعتقد أنه فات على كمال الشيخ أن يفعل ذلك؛ فقد رأينا الدكتور حليم يستعين فى تجاربه – المفروض أنها أعلى من مستويات العلماء – بأجهزة مدرسية مثل المجهر، الذى لم يعد يستعمل سوى فى المدارس الثانوية. بل إن هذه المدارس انتبذت المجهر إلى الكومبيوتر.. هذا الكومبيوتر الذى رأيناه غريبًا فى المرصد. ومثل الاستعانة بأجهزة فقيرة فى المعمل كالصناديق الهيكلية الخالية.

لم تعتمد سينما التخيل العلمى على الموضوعات الحية وحدها. بل سعت إلى الاستفادة من مجالات الرسوم المتحركة؛ لنقل شخصياتها الناجحة إلى السينما، ثم طورت هذه الشخصيات، وأصبحت سينمائية فى المقام الأول، مثل: سوبرمان، والرجل الوطواط، والرجل العنكبوت، وفلاش جوردون وغيرها. ورغم أنها شخصيات تسبح فى عالم فنتازى، إلا أنها مرتبطة بالتخيل العلمى فى المقام الأول.

وأغلب هذه الشخصيات قادمة من الفضاء، وترتبط

بالأرض بين فترة وأخرى. وهى شخصيات خارقة السمات تمتلك عديدًا من أسباب البطولة، قوية العضلات، تطير فى السماء كما الطيور تسبق الطائرات والسفن . وهى أغلبها فانتازية التركيب، ولكنها ذات علاقة بأجواء التخيل العلمى، فهى وليدة العلوم مثل سوبرمان، على سبيل المثال القادم من كوكب كريبتون الأكثر تقدمًا علميًا. كما أن أغلب هذه الشخصيات قادمة من مجلات الرسوم المتحركة مثل مجلة "مارفل" سبقت فى المحاولة مثل "تيملى" و"أطلس"، وكانت المجلة الأولى واحدة من مجلات عديدة تحمل اسم مارفيل منها مجلة "مارفيل للتخيل العلمى"، التى صدر منها تسعة أعداد بين عامى ١٩٣٨ و ١٩٤١، ثم عاودت الصدور بين عامى ١٩٥٠ و ١٩٥٢.

وفى حين توقفت معظم محاولات "مارفيل" الأخرى، استمرت مجلة "مارفيلكوميكس" بنجاح. انتشرت فى طول الولايات المتحدة لتصبح بقصصها و-حكاياتها المرسومة، مجلة الصغار، والكبار، الأولى من نوعها.

"مارفيل كومكس ، مع ما نطرحه من تسلية، كونت أبطالا، "كابتن أمريكا"و"الرجل العنكبوت" و"رجل أشعة الاكس" و"الرجل المطاط"، ولاحقًا واحدة من أشهر الشخصيات باسم "سوبرمان".

وأهم أفلام تم إنتاجها عن سوبرمان تلك التى تم انتاجها بين عامى ١٩٧٨ و ١٩٨٣ ، وهى رباعية أخرجها على الترتيب ريشارد دونر وريتشارد ليستر الذى أخرج الجزءين الثانى والثالث معا وفى البداية تعلقت الحكاية بصورة التخيل العلمى. ففى كوكب كريبتون كل شىء معرض للدمار. وهناك مكائد ودسائس، رغم التطور العلمى الهائل الذى توصل إليه أبناء ذلك الكوكب. وهناك أسرة صغيرة يحس عائلها بالخطر القادم الى الكوكب الذى سينفجر فيقرر إرسال وليده الصغير الى كوكب الأرض؛ ويضعه فى صاروخ ويضع معه جزءًا من معدن الكريبتون النادر، الذى سيصبح للأبد مصدر قوة الابن الخارقة.. وينزل الطفل الذى سيصبح رجلًا خارقًا إلى الأرض؛ حيث تتلقفه أسرة أمريكية تتولى

رعايته وتكتشف سر قوته منذ صغره فهو يمكنه أن يرفع شاحنة كبيرة، وعندما يصبح شابا يمكنه أن يطارد قطارا ويسبقه.. ويعيش هذا الشاب – الذى أصبح أمريكيا بحكم الأرض التى يعيش عليها – فى حالة فصام واضحة؛ فهو المواطن الأمريكى العادى الخجول، الذى لا يستطيع حتى البوح لإحدى الفتيات بمشاعره الفياضة نحوها، يرتدى نظارة وملابس تقليدية.. لكنه من خلال استشعار خاص، يمكنه رصد الأخطار الكبرى التى تحيق بالوطن أو بالعالم فيهرع للنجدة. والجانب الآخر من التخيل العلمى فى سلسلة سوبرمان، هو أن هذا الأخير يجابه قوى تعمل فى الظلام، مثل الرجل المجنون، الذى يسعى لدمار العالم ويعرف سر معدن الكريبتون الذى يمده بالقوة .. هذا الرجل يختفى فى الجزء الأول ثم يعاود الظهور مرة أخرى فى الجزء الثانى، الذى ظهر فى عام ١٩٨٠، وهو يساعد ثلاثة من أشرار كوكب كريبتون على الطيران والتدمير. وفى الجزء الثالث، هناك رجل رأسمالى يريد زراعة البن عن طريق التحكم فى الطقس بالكومبيوتر،

وجهاز الكومبيوتر هذا بارع الذكاء والمناعه بحيث أنه يمتلك القدرة على توليد الكهرباء بطريقة خاصة لذا منعوها عنه. وقد أفلح هذا التحول، من خلال ما يمتلكه من سمات، فى تحويل سوبرمان الطيب الى مخلوق شرير.

وقد ابتدع هذه الشخصية لأول مرة الرسامان جيرى سيجال وجوشوستر فى عام ١٩٣٣ عقب الأزمة الاقتصادية الطاحنة، التى تعرضت لها الولايات المتحدة . ويقال أن سوبرمان قد جاء لإنقاذ البلاد من عثرتها التى أصابتها.. إلا ان أول رسم لهذه الشخصية لم يظهر الا بعد ذلك بخمسة أعوام. لذا فان السينما أعادت إنتاج افلام "سوبرمان" من عقد لآخر مثل "سوبرمان"عام ٢٠٠٢، وسوبرمان يبدأ "عام ٢٠٠٧. وقد دفع نجاح شخصية"سوبرمان" إلى ظهور شخصية "الفتاة الخارقة"، وهى أيضا شخصية جاءت من الرسوم المتحركة. ولدت فى عام ١٩٥٩، واسم هذه الفتاة الحقيقى هى أكا – كارا، وقد ولدت – فى كوكب كريبتون حيث ولد من قبل سوبرمان. ومع اضطراب الأوضاع فى هذا الكوكب، حضرت "الفتاة الخارقة" إلى الأرض، وعمرها

خمسة عشر عاما فقط وبمجرد هبوطها الى الأرض بدأت تشعر بالقوى الخارقة التى تمتلكها، والتى لايباريها فيها إلا ابن العم "سوبرمان"، ورغم ذلك، فقد أخفى سوبرمان وجودها عن الجميع، وعاشت باسم مستعار بالقرب من مدينة شيكاغو، هو "ليندالى"، إلى أن قرر سوبرمان أن يعرفها بالعالم، ويعرف سكان الأرض بها.

ومثلما تروى الأساطير الخيالية التى ابتدعتها العقلية الأمريكية- وما أبرع الأمريكيين فى تصوير الأساطير- فإن سوبرمان قد فعل ذلك خلال جولة مشوقة الى أركان الكرة الأرضية وانتهت بزيارة خاصة للبيت الأبيض الأمريكى، وحضور جلسة فى الأمم المتحدة، قررت الهيئة الدولية أن تقدم شهادة ذهبية الى المرأة الفذة القادمة من أجواء الفضاء، تمثل الشهادة التى سبق أن منحت لابن عمها. مع تصريح خاص "للفتاة الخارقة" بأن تنتقل، كما تشاء فى أراضى الدول الأعضاء، دون الحاجة للحصول على تأشيرة دخول أو خروج.

الطريف فى الأمر، أو ربما الغريب فيه، أن حفلا أقيم بالفعل فى البيت الأبيض فى شهر فبراير عام ١٩٦٢ على شرف الفتاة الخارقة ، وأن الرئيس الأمريكى آنذاك – جون كيندى- رحب بها قائلا: "سوبرجرل أنا واثق من أنك سوف تستغلين كل قواك الخارقة، ليس فقط فى مكافحة الجريمة على الأرض، ولكن فى الحفاظ على السلام فيها".

ومنذ ذلك العام، والأسطورة الأمريكية آخذة فى التطور على صفحات المجلات الأسبوعية والجرائد اليومية، حتى أصبحت الفتاة الخارقة- وقبل أن تتحول إلى السينما- شخصية معروفة بأعمالها المفيدة، سواء لأصدقاء أصحاب الشخصيات الأسطورية الخرافية أو لخدمة البشر.

من ذلك مثلا أنها أنقذت الرجل الوطواط ومجموعة من أصدقائه من سجن رهيب، كان أعداء سوبرمان قد فرضوه عليهم فى باطن الأرض، كما أفلحت، رغم كل الصعوبات، فى أن تشق مجرى فريدًا للمياه الحلوة، يروى كل الأراضى الصحروايةَ.. كما دمرت شهابًا جويًّا كان يسير بسرعة خرافية

فى طريقه للتصادم مع الأرض قبل أن يعرف أحد حتى بوجوده، وحولت اتجاه عاصفة خطيرة تحمل أمطارًا سامة، كانت فى طريقها إلى الأرض، وبالطبع كانت ستذهب بالزرع والضرع، لو اجتازت مجال الغلاف الجوى الأرضى.

كما أذابت جليد القطب الجنوبى؛ لتجعل منه منطقة خضراء تصلح لسكنى البشر، الذين انفجرت قنبلتهم السكانية؛ بحيث لم تعد الأرض على وسعها ان تسعهم! وأخيرا – وليس آخر – ربما أن كل شىء يهون عند السينمائيين؛ خاصة فى مجال الخرافة، فقد حافظت على حقوق المظلومين ودافعت عن المسحوقين فى الأرض فى غياب سوبرمان، الذى اضطر للذهاب فى بعثة سرية الى مكان مجهول من الكون، ويبعد عن الأرض ملايين السنين الضوئية.

أما شخصية "فلاش جوردون"، فهى على عكس سوبرمان.. إنه ليس بطلا خارقا يطير أو يزحف على الجدران. ولايلتقط الطائرات والصواريخ، ويسبق الطائرات والقطارات ولا يضع جسده بدلًا من قضبان السكك

الحديدية التى التوت. فلاش جوردون إنسان آخر قادم من الرسوم المتحركة، وأهم سمة فيه انه ينتمى إلى عصر التخيل العلمى.. يتمتع بشجاعة نادرة وحب المغامرة بلا حدود. وفلاش جوردون إنسان فضاء؛ حيث ترمى به الأقدار فى سفينة فضاء، تنطلق به تنقله إلى رحاب الكون التى لا تنتهى؛ فتحط به السفينة فوق كوكب يسمى فونجو، يحكمه رجل شرير هو الإمبراطور مينج.

وقد ظهر فلاش جوردون للمرة الأولى فى مجلة رسوم متحركة فى ٧ يناير عام ١٩٣٤، ثم رأيناه فى العشرات من الصحف الأمريكية. وكان السؤال الذى طرحته السلسلة الأولى من مغامرات فلاش جوردون، هو: هل يمكن أن ينجح فى منع تدمير كوكب الأرض من قبل الإمبراطور مينج، وتقول مجلة الاكسبريس إن "قراء قصص فلاش جوردون قد ظلوا سبعة عشر عاما؛ كى يعرفوا ذلك".

وفلاش جوردون البالغ الخامسة والعشرين من العمر.. شاب رياضى مثل اليكس ريموند، الذى ابتكره فى تلك السنوات، وهو الذى ابتدع من قبل شخصية بك روجرز عام

١٩٢٩ وهى شخصية من الرسوم المتحركة وجدت طريقها إلى السينما فيما بعد.

وقد ظهر فلاش جوردون فى السينما لأول مرة عام ١٩٣٦ فى فيلم "رحلة الى المريخ" وأدى الدور الممثل المعروف بستر كراب. وفى هذا الفيلم، وقف فلاش جوردون فى مواجهة مينج يعاونه صديقان؛ فيدخل الطرفان فى صراعات متعددة فى النهاية، ويطيح فلاش جوردون بخصومه، ويصل وحده إلى الإمبراطور، الذى تصرعه مقدمة سفينة فضاء صغيرة، فإذا به يتبخر ويموت.

وفى عام ١٩٣٨، قام بستر كراب ببطولة الفيلم الثانى من السلسلة تحت عنوان "فلاش جوردون وغزو العالم"، ثم اختفى تماما عن السينما حتى عام ١٩٨٠؛ حيث فكر دينودى لورانتيس المنتج الإيطالى المعروف فى إعادة إحيائه فى فيلم ضخم الإنتاج، وأسند الدور إلى عارض أزياء سابق، هو سام جونز، ولم يكن الفيلم يليق قط بأهمية هذه الشخصية سواء فى السينما، أو فوق صفحات الرسوم المتحركة إذا كان هذا هو

حال موضوعات التخيل العلمى فى السينما. فلا شك أن النوع قد ساعد السينما كثيرًا فى أن تطور تقنياتها، سواء من حيث المؤثرات الصوتية أو الديكور أو صناعة هياكل الآليات التى نراها، ومع كل فيلم جديد يجب أن تأتى هذه السينما بتقنيات أكثر تطورا لملاحقة خيال السينمائيين. وقد تطورت صناعة السينما فى العالم إلى أن حدث ما يمكن تسميته عصر السينما الإليكترونية، وذلك من خلال إنتاج فيلم "ترون" عامى ١٩٨١ و ٢٠١١ وهذا الفيلم – وأيضًا فى النوع الذى سنراه فى المستقبل – يعتمد فى المقام الأول على تطور الأجهزة، التى توصل إليها العلماء، لصناعة المؤثرات المختلفة فى صناعة هذه السينما.. وعليه لن يكون هناك مخرج بالمعنى التقليدى، ولكن الخبير الإلكترونى هو المخرج، فرغم أن فيلم "ترون" الأول يحمل اسم المخرج ستيفن ليسبرجر، إلا أن منفذ الفيلم الحقيقى هو ريتشارد تايلور ومعه مساعده هاريسون اللينشو، يقول تايلور إن كل صورة فى هذا الفيلم "قد تكونت من مليونى نقطة ضوئية بالألوان، وأن كل نقطة منها قد ترجمت من وحدات كودية. وان العقل الإليكترونى لا يمكنه فقط

قراءة الصورة السينمائية، ولكن يمكنه قراءة الذاكرة البشرية ويسجلها فكرنا، فى أول الأمر، إن الأشرار فى الفيلم يجب أن يكونوا باللون الأزرق . أما الأخيار فيتم تلوينهم باللونين الأحمر والأصفر، ووجدنا أن علينا أن نقلب المفهوم، فالأحمر بالنسبة للعقل الإليكترونى يقلب الألوان والأزرق إلى شىء رقيق.. اليوم يمكن للعقل الالكترونى أن يخلق كل شىء حتى وجه مارلين مونرو" .

ولأن السينما الإليكترونية يمكنها تخزين الذاكرة، فإن خبراء هذه السينما يؤكدون أنه سيتم إنتاج أفلام جديدة، نرى فيها نجوم السينما القدامى بشحومهم ولحومهم مثل مارلين مونرو وكلارك جيبل وأنور وجدى يقومون بالبطولة فى أفلام جديدة .

وهكذا يمكن أن يرتبط زمن التخيل العلمى بزمن الواقعية العلمية.وكما يقول المخرج ليسبرجر فإن "هناك خمس عشرة دقيقة كاملة من فيلمى لم تمسها يد بشرية؛ لذا لم يكن هناك طاقم عاملين تقليديين بالسينما. فهناك سيناريو بسيط

قمت بكتابته، ثم جلسنا مع التقنيين أمام شاشة تديرها بعض الفنيين أحيانًا، لكن على العقل الإليكترونى أن يؤدى الدور الكبير. فقد استغرق تصوير أحد المشاهد – الذى استغرق عرضه سبع ثوان – أربعين ساعة، عمل فيها ستة تقنيين، وثمانية فنانين تشكيليين وعشرون مبرمجًا للعقل الإلكترونى".

أما قصة الفيلم نفسه، فهى من نوع التخيل العلمى حول الصراع الأزلى بين الخير والشر، فهناك ساحر يناضل ضد الآلة التى تمردت عليه بعد أن صنعها.. هذا الساحر هو الإنسان، وهو فى هذا الفيلم يمثل الجانب الشرير. أما الجانب الطيب، فهى الآلة التى تتمرد على صانعها.. فقد ضاقت هذه الآلة بالأوامر الغبية التى يطلبها الإنسان كل يوم.. ولأنها أكثر ذكاء منه، فإنها تعلن تمردها وتغير من برامجها، وتتحول إلى شىء مختلف.

فى حديثنا حول سينما التخيل العلمى، يهمنا أن نؤكد أن كتاب النوع يجمعون على نقطة واحدة – على الأقل- وهى أن " هناك كارثة رهيبة تحيط بنا فى منعطف العقود الأخيرة من

القرن العشرين ومع القرن الواحد والعشرين، ولكن هل تكون تلك يوتوبيا متشائمة ورجعية؟ إن التفاؤل الأعمى لم يسبق له أن أنقذ أحدًا إذا ما حانت الساعة. والوسيلة الوحيدة لتفادى كارثة ما، هى أن تمعن التفكير فيها، وأن تعمل على تفاديها إذا كان ذلك يدخل فى إمكانات البشرية، لقد كثر الحديث عام ١٩٥٠ عن خطر الحرب الذرية، وهو خطر لايزال يلوح فى الأفق. وإن كانت الأحداث قد تخطته، وهو أشبه ما يكون بسيف ديموقليس لايزال معلقا فوق رؤوسنا، بينما نجد أن الخطر الآخر الطبيعى هو أشبه بسيف يسقط بقوة هائلة، والوسيلة الوحيدة لتجنبه هى فى الابتعاد عن مساره. ولكن ألا يزال هناك مكان واحد لن يتعرض لبأسه؟

ويتفق علماء الاجتماع وعلماء البيئة على أن التهديدات التى تتجمع فى الأفق، هى من الضخامة بحيث لا يمكن لمبدأ القومية الذى عفا عليه الزمن أن ينتصر عليها؛ أن يسبب ضيق افق هذا المبدأ. ولكن ما هذه التهديدات؟ أولًا هناك "الانفجار السكانى"، فترى هل هناك سياسة لتنظيم المواليد؟

من الاستحالة تطبيق مثل هذه السياسة والحصول على نتائج فعالة؟ حتى لو أمكن الحصول على نجاح فورى، فسنظل متخلفين عن حل المشكلة لعشرين عامًا. تلوث البيئة.. سوء استخدام الأراضى الزراعية.. التبذير الذى يهدد العالم بمجاعة لم يعرف العلم مثيلا لها. بالإضافة إلى أننا سوف نعانى عن قريب من نقص فى مياه الشرب، ولن يكون أحد فى مأمن من الأوبئة، التى ستنجم بالضرورة عن نقص الوسائل الصحية . وقد عبر المدير السابق لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة، السيد موريس سترونج فى حديث له فى جريدة "الفجر" فى ٢٧ مارس ١٩٧٤ عن مخاوفه التى تتطابق تمامًا مع ما ذكرناه آنفًا عما سيكون عليه شكل الكارثة؛ إذ يعتقد موريس سترونج أنها ستأتى فى صورة وباء ضخم، وقد وجدت الطبيعة دائمًا حلولا جذرية للمشاكل غير القابلة للحل.

التخيل العلمى التأملى كان بإمكانه أن يحذر، ويضاعف من فرصتنا وذلك بمساعدة السينما، وهو الفن الشعبى الواسع الانتشار، والسينمائيون وكتاب السيناريو والمنتجون،

هم على شاكلة جمهورهم جبناء وكسالى، لا يزالون يعيشون على مستوى القرون الوسطى، بينما قد تخطينا العصر الذرى على المستوى الفنى، ولكن السينمائيين، الذين يزعمون تمثيل الصفوة المفكرة لمجتمعنا يلهون لطمأنة ضمائرنا، إذا أضافوا على النحل المجرد من الذكاء تأملات سياسية قومية ضيقة الأفق، على الرغم من أن هذه الاهتمامات لم تعد على مستوى المخاطر التى تهددنا.

"وعلينا أن نفكر إذًا فى إعادة توازن العدالة ومساواة الفرص والإخاء الوطنى. ولكن المجاعة أهلكت ستين مليون نسمة فى العالم فى عام واحد تقريبًا (أى عدد مماثل لقتلى الحرب العالمية الثانية).. إننا نصاب بالقلق لمجرد مرض يصيب حلقنا، بينما بدأ البركان الذى نعيش فوقه ينفجر بالفعل".

صارت سينما التخيل العلمى.. من نسيج السينما العالمية.. تدخل فى إطار الأفلام المهمة، التى تتمتع بكفاءة فنية ملحوظة وتنافس فى الحصول على الجوائز فى المهرجانات السينمائية وأيضًا فى جوائز الأوسكار، بالإضافة إلى وجود

مهرجانات سينمائية متخصصة، فقط لعرض هذا النوع من الأفلام، والتسابق فيما بينها.. وفى المكتبات هناك عديد من الأدلة السينمائية، التى يمكن من خلالها التعرف على أهم أفلام التخيل العلمى، ضمن الإنتاج السينمائى العالمى بشكل عام، وعلى سبيل المثال فإن كتاب "١٠٠٠ فيلم يجب أن تراها قبل أن تموت" .. قد تضمن ٣٢ فيلمًا من التخيل العلمى وسط الأنواع الأخرى فى كل أنحاء العالم، هذه الأفلام حسب الترتيب التاريخى مع اسم المخرج والمؤلف الروائى، إذا كان النص مأخوذًا عن الأدب ، واسم البلد المنتج.

١٩٠٢: رحلة الى القمر (جورج ميليه – فرنسا) .

١٩٢٧: مترو بوليس (فريتزلانج – ألمانيا) .

١٩٢٩: الرجل الكاميرا (زيجا فرتوف – الاتحاد السوفيتى).

١٩٣١: فرانكنشتاين (جيمس وال – عن مسرحية لبيجى ولبنج وروابتر مارى شيلى - أمريكا) .

١٩٣٣: كينج كونج (مريان كوبر – أمريكا) .

١٩٣٥: خطيبة فرانكشتاين (جيمس وال – امريكا) .

١٩٣٦: العصور الحديثة (شارلى شابلن – امريكا) .

عالم المستقبل (ويليام كاميرون عن رواية ل.هـ.ج ويلز – بريطانيا).

١٩٥٢: يوم تتوقف الأرض (روبرت وايز عن أقصوصة وداعا للسادة لهارى بيسز – أمريكا) .

١٩٥٦: الكوكب الممنوع (فريد ويلكوكس – أمريكا) .

غزو الأجساد (دون سيجال – أمريكا) .

١٩٦٣: الأستاذ Nutty (جيرى لويس – أمريكا) .

١٩٦٤: الدكتور ستر نجلف (ستانلى كيوبريك – عن رواية "التحذير الأحمر"- لبيتر جورج – بريطانيا) .

١٩٦٨: كوكب القرود (فرانكلين شافنر عن رواية لبيربول – أمريكا) .

٢٠٠١: أوديسا الفضاء (ستانلى كوبريك عن أقصوصة لأرثر كلارك – بريطانيا) .

ليلة الموتى الأحياء (جورج روميرو – أمريكا) .

١٩٧١:البرتقالة الآلية (ستانلى كيوبريك عن رواية لأنطونى برجيس – بريطانيا) .

١٩٧٢: سولاريس (أندريه تاركوفسكى – عن رواية لستانسلاف ليم – الاتحاد السوفيتى) .

١٩٧٧: حرب النجوم (جورج لوكاس – أمريكا) .

لقاءات قريبة من النوع الثالث (ستيفن سبيلبرج – أمريكا) .

١٩٧٩: غريب من الفضاء (ريدلى سكوت – بريطانيا) .

ماكس المجنون (جورج ميللر – بريطانيا) .

١٩٨٠: الإمبراطور يهاجم ثانيًا (حروب النجوم) (أرفن كيرشنر – أمريكا) .

١٩٨٢: أى . تى (ستيفن سبيلبرج – أمريكا) .

الشفرة المتزحلقة (ريدلى سكوت- أمريكا) .

١٩٨٤: الجهنمى (جيمس كاميرون – أمريكا) .

١٩٨٥: برازيل (تيرى جيليام – بريطانيا)

١٩٨٦: الذبابة (دافيد كرونبرج - عن أقصوصة لجورج لانجلان – أمريكا) .

١٩٨٩: الرجل الوطواط (تيم بيرتون – أمريكا) .

١٩٩٠: إدوارد ذو اليد المقص (تيم بيرتون – أمريكا) .

١٩٩٣: حديقة الديناصورات (ستيفن سبيلبرج – عن رواية لمايكل كرايتون - أمريكا) .

١٩٩٩: ماتريكس (أندى ولارى داتشوفسكى – أمريكا).
٢٠٠٦: متاهة (جولير مو ديلتورو – المكسيك – إسبانيا) .

ومن هذه القائمة، سوف نجد أن السينما الأمريكية قد حظيت بالصدارة فى عدد الأفلام المتميزة، التى يجب مشاهدتها، تليها بريطانيا، وقد ظل التخيل العلمى، مرتبطًا فى المقام الأول بالدول التى يزدهر فيها العلم،وفى هذه البلاد ، كان أدب النوع يزدهر بشكل ملحوظ، ولم تذهب الأفلام المتميزة إلى بلاد أخرى، كما أن أغلب العلماء الذين فازوا بجوائز نوبل فى العلوم، جاءوا من الولايات المتحدة وبريطانيا.

وسوف نرى أن هناك مخرجين بأعينهم قد شغفوا بالخيال العلمى ومنهم ستانلى كيوبريك، ثم ستيفن سبيلبرج الذى قام ذات يوم بإخراج فيلم الذكاء الصناعى، الذى كان من المفروض على كيوبريك أن يخرجه قبل رحيله، واستكمل سبيلبرج هذه المهمة، والغريب أن هذا الفيلم غير موجود فى قائمة الأفلام، التى يجب مشاهدتها، وسوف نتوقف فى هذا

الكتاب عند الكثير من تجارب هذين المخرجين.

كما سوف نرى ان قوائم أهم أفلام التخيل العلمى ستتكرر فى الغالب فى الأعداد الخاصة من مجلات السينما العالمية، ذوات السمعة الطيبة؛ ففى عام ١٩٩٩، أصدرت مجلة "فيلم ريفيو" film Review عدداً خاصًّا تحت عنوان أعظم أفلام التخيل العلمى لكل الأزمنة، ومنها خمسة وعشرون فيلمًا هى الأفضل، وقامت بتخصيص صفحات مطولة للحديث عن هذه الأفلام، وكلها أفلام أمريكية فى المقام الأول، وقد تم ترتيب هذه الأفلام حسب الحروف الهجائية باللغة الانجليزية ، إلا أننا هنا سنقوم بترتيبها أيضًا حسب تاريخ إنتاجها، وسنلاحظ أن هناك تكراراً ملحوظاً مع القائمة السابقة.

١٩٢٦: يوم تتوقف الأرض (روبرت وايز) .

١٩٥٦: غزو الأجساد (دون سيجال) .

١٩٥٧: الرجل الذى تم تصغيره (جاك أرنولد) .

١٩٦٨: باربارللا (روجيه قاديم – فرنسا) .

كوكب القرود (فرانكلين شافنر) .

٢٠٠١ أوديسا الفضاء (ستانلى كيوبريك) .

١٩٧١ : البرتقالة الآلية (ستانلى كيوبربك) .

١٩٧٧ : لقاءات قريبة مع النوع الثالث (ستيفن سبيلبرج) .

حرب النجوم (جورج لوكاس) .

١٩٧٩ : ماكس المجنون (جورج ميللر) .

١٩٨٢ : الشفرة المتزحلقة (ريدلى سكوت) .

رحلة إلى الفضاء (نيكولاس ماير) .

الشيء (جون كاربنتر) .

أى.تى (ستيفن سبيلبرج) .

١٩٨٤ : الجهنمى (جيمس كاميرون) .

١٩٨٥ : برازيل (تيرى جيليام).

الشرنقة (رون هيوارد) .

العودة إلى المستقبل (روبرت زيمكس) .

١٩٨٦ : غرباء من الفضاء (جيمس كاميرون) .

الذبابة (دافيد كرونبرج) .

obeikandl.com

١٩٨٧: الشرطى الآلى (بول فيرهوفن) .
١٩٩٠: دودة الأرض tremars (رون أندروود) .
١٩٩٦: المريخ يهجم (تيم بيرتون) .
١٩٩٧: جاتاكا (أندرو نيكول) .

وسوف نلاحظ أن هناك ستة عشر فيلما، قد تكرر ذكرها من بين خمسة وعشرين فيلما هى الأفضل فى رأى هذه المجلة، وأن أغلب هذه الأفلام أمريكية، أو بريطانية، كما أن أغلبها تم إنتاجها فى الثمانينيات من القرن العشرين، وأن كلا من كيوبريك وسبيلبرج كانا فى الصدارة، خاصة فى الأفلام التى تواجدت فى القائمتين، وكان هناك اختلاف بسيط فى سنوات إنتاج بعض الأفلام حسب القائمتين، كما أن المجلة اختارت هنا مجموعات من أفلام، شملت ظاهرة؛ ففيلم "حرب النجوم" الذى تم إنتاجه عام ١٩٧٧، ينضم إليه الجزء الثانى من السلسلة، دون أى ذكر بالطبع للثلاثية الثانية من هذه المجموعة، وتم اختيار "العودة إلى المستقبل" كثلاثية، وليس كفيلم واحد، وتم اختيار "غرباء من الفضاء" Aliens ،بدلًا

من الجزء الأول من الفيلم، الذى أخرجه ريدلى سكوت، كما تم اختيار فيلمى "ماكس المجنون" لجورج ميللر الاسترالى، واغلب هذه الافلام، مأخوذة من سيناريوهات أصلية، وأن النصوص الأدبية كانت قليلة للغاية، أما أغلبها، فإنه ينتمى إلى التخيل العلمى الزمنى مثل " الذبابة"، "العودة إلى المستقبل" و"دودة الأرض"، و"الجهنمى"، و"الرجل الذى تم تصغيره".

أما مجلة "إمباير" Empire، فقد قدمت عدداً خاصًّا عام ٢٠٠١ عن أعظم أفلام التخيل العلمى فى كل الأزمنة، وقامت بتقسيم الخمسين فيلما التى وقع الاختيار عليها إلى أربعة أقسام: القسم الأول منها عن الأفلام التى تدور أحداثها فى المستقبل، وهى قد تم ترتيبها أيضًا حسب الحروف الهجائية، إلا أننا نقدمها أيضًا بالتقسيم التاريخى نفسه، وهى..

١٩٢٦: مترو بوليس (فريتزلانج) .
١٩٦٦: فهرنهايت ٤٥١ (فرانسوا تريفو) .
١٩٦٨: كوكب القرود (فرانكلين شافنر) .

١٩٧١: البرتقالة الآلية (ستانلى كيوبريك) .

إنسان الأومجا (بوريس سيجال) .

١٩٧٩: ماكس المجنون (جورج ميللر) .

١٩٨٢: الشفرة المتزحلقة (ريدلى سكوت) .

الهروب من نيويورك (جون كاربنتر) .

١٩٨٥: برازيل (تيرى جيليام) .

١٩٨٧: الشرطى الآلى (بول فيرهوفن) .

١٩٩٨: عرض ترومان (بيتر وير) .

مكعب (فنزنسونا تالى) .

١٩٩٩: ماتريكس (إندى ولارى داتشوفسكى) .

والأفلام المتواجدة فى القوائم هى نفسها المتكررة، مع إضافة فيلم مهم هو "٤٥١ فهرنهايت"، و"المكعب".

أما القسم الثانى من الأفلام التى اختارتها المجلة، فهو تحت عنوان "غزو الفضاء"، غزو الأرض، وتم اختيار تسعة أفلام، هى حسب تاريخ الإنتاج:

١٩٥١: يوم توقفت الأرض (روبرت وايز) .

obeikandl.com

١٩٦٠: قرية الملاعين (دولف ريلا) .
١٩٧١: خلية أندروميدا (روبرت وايز) .
١٩٧٧: لقاءات قريبة من النوع الثالث (ستيفن سبيلبرج) .
١٩٧٨: غزو الأجساد (فيليب كاوفمان) .
١٩٨٢: أى. تى (ستيفن سبيلبرج) .
الشيء (جون كاربنتر) .
١٩٨٧: الضباب pred atarl (جون ماكترنان) .
١٩٩٦: يوم الاستقلال (رونالد ايميريش) .

وقد لوحظ أنه تم اختيار المعالجة الثامنة من فيلم " غزو الأجساد"، الذى أخرجه فيليب كاوفمان عام ١٩٧٨، بدلًا من الفيلم الأول، الذى أخرجه روبرت وايز عام١٩٥١، أما القسم الثالث من هذه الأفلام، فيحمل عنوان "أوبرا الفضاء" ..، وقد ضم أحد عشر فيلما، نقدمها أيضًا حسب الترتيب التاريخى:

١٩٥٤: هذه الأرض الجزيرة (جوزيف نيومان) .
١٩٦٨: ٢٠٠١ أوديسا الفضاء (ستانلى كيوبريك) .
١٩٧١: الجرى صمتًا (دوجلاس ترمبل) .

١٩٧٧: حرب النجوم (جورج لوكاس).
١٩٧٩: غريب من الفضاء (ريدلى سكوت).
١٩٨٠: فلاش جوردن (مايك هودجز).
١٩٨١: الإمبراطور يعاود الهجوم (أرفين كيرشنر).
١٩٨٢: رحلة إلى الفضاء (2) (نيكولاس ماير).
١٩٨٤: غرباء من الفضاء (جيمس كاميرون).
١٩٨٨: أكيرا (كاتو شيرد أوموتو- اليابان).
١٩٩٨: مقاتلو سفينة الفضاء (بول فيرهوفن).

وقد ضمت القوائم لأول مرة فيلما يابانيا من الرسوم المتحركة، مع وجود ثوابت لم تتم الابتعاد عنها.

أما القسم الرابع من هذه الأفلام، فهو عن الرحيل عبر الزمن، وقد ضم أربعة أفلام فقط، هى:

١٩٨٤: الجهنمى (جيمس كاميرون).
١٩٨٥: العودة إلى المستقبل (روبرت زميكس).
١٩٩١: الجهنمى 2 (جيمس كاميرون)
١٩٩٥: ١٢ قردا (تيرى جيليام).

أما القسم الخامس، فهو حول عالم العجائب، أى إنه

يمزج بين التخيل العلمى، والفانتازيا، وهو يضم خمسة أفلام، هى أساسًا من عجائب التخيل العلمى، وهى ..

١٩٥٤: عشرون ألف فرسخًا تحت الماء (ريتشارد فليشر) .

١٩٥٦: الكوكب الممنوع (فريد ماكلويد ويلكوكس) .

١٩٦٧: باربارللا (روجيه ڤاديم) .

١٩٨٩: الأعماق (جيمس كاميرون) .

١٩٩٠: النداء الكلى (بول فير هوفن) .

ويضم القسم السادس ثلاثة أفلام تحت عنوان "كوميديا"، وهى :

١٩٦٤: دكتور سترا نجلف (ستانلى كيوبريك) .

١٩٧٣: النائم (وودى آلن) .

١٩٧٤: الكوكب المعتم (جون كاربنتر) .

أما القسم السابع والأخير، فيضم خمسة أفلام تحت عنوان (العلم خارج السيطرة)؛ أى إن التطورات التى تحدث فى أفلام التخيل العلمى، سوف يكون من الصعب السيطرة

عليها مثلما ستفعل الديناصورات، حين تهاجم العالم.. وهذه الأفلام هى :

١٩٣٣: الرجل الخفى (جيمس وال) .

١٩٥١: الرجل فى الثوب الأبيض (روجر ماكدوجال) .

١٩٧٣: عالم الغرب (مايكل كرايتون) .

١٩٨٦: الذبابة (جون كاربنتر) .

ومن هذه القائمة، سوف نكتشف مجدداً أن لصناع الأفلام الجيدة للتخيل العلمى أسماءً بعينها، بالإضافة إلى أسماء ذكرناها فيما قبل، ومن هؤلاء المخرجين: جون كاربنتر وبول فيرهوفن، وروبرت وايز، ثم ريدلى سكوت، وبالطبع جيمس كاميرون، صاحب فيلم "أڤاتار" عام ٢٠١٠ .

هذه مقدمة طويلة لابد منها، قبل أن نقرأ أهم الأفلام السينمائية العالمية التى تحدثت عن قيمة العلم والتخيل، وقد أثرنا أن نرتب هذه الأفلام حسب تاريخ عرضها الزمنى، للتعرف بشكل تطبيقى على جوانب أهمية الأفلام. وذلك عملا بعنوان الكراسة أنها أفلام عن العلم حين يمتزج بالتخيل أو يزيده الخيال وجودًا. ونظرًا لغزارة المادة فقد وضعت فى مجلدين متصلين.

obeikandl.com

قراءات فيلمية فى التخيل العلمى

٢٠ الف فرسخ تحت البحر (١٩٥٤)

20.000 leagues under the sea

فى عام ١٩٧٨، احتفل الفرنسيون بمرور خمسين عاماً على مولد الكاتب "جول فيرن"، وبهذه المناسبة نشرت مجلة الإكسبريس دراسة عن هذا الرجل، الذى فتح الخيال للكثير من أدباء الخيال العلمى، وذكرت أن الإلهام وصل إلى درجة من التنبوء عند جول فيرن أن شواهد كثيرة تدل أن الرجل كان يستلهم أعماله من أرواح، كانت تتقمصه من فترة لأخرى، وبصرف النظر عن صدق هذا فإن فيرن من أهم من كتبوا فى التخيل العلمى، على الرغم من الأسماء الجيدة التى جاءت بعده، وهو الذى عاش بين عامى ١٨٢٨، ١٩٠٥، وقد عرف بسعة تخيله ودقته وكثرة قراءاته فى الجغرافيا بصفة خاصة؛ لدرجة أن الاميرال "بيرد" قال حينما طار فوق القطب الجنوبى.. لقد كانت كتابات فيرن ترشدنى خلال رحلتى، ومع أن فيرن خير من كتب القصة العلمية، إلا أن النقاد يضعونه أحياناً فى مصاف الرومانسية .

وقد نقلت السينما أكثر روايته إلى الشاشة، خاصة المشهور منها، خاصة "٢٠ الف فرسخ تحت البحر" .. حيث استلهمت السينما من شخصيات هذه الرواية مجموعة، من الأفلام، وخاصة من بطلها الكابتن نيمو؛ حيث جسد هذه الشخصية فى أكثر من فيلم كل من عمر الشريف، وروبرت ريان، وهربرت لوم، وبالطبع جيمس ماسون.

وسوف نتحدث هنا عن الفيلم، الذى أخرجه ريتشارد فلايشر عام ١٩٥٤؛ حيث اسندت البطولة المطلقة إلى كيرك دوجلاس فى دور لاند ، فى الفيلم المأخوذ عن رواية تقع فى طبعتها الخضراء الفرنسية فى ٥٠٠ صفحة، يروى فيها اروناكس قصته مع الكابتن نيمو، الرجل الذى اثر أن يبتعد عن البشر، ويعيش داخل غواصة ذرية بعيداً فى أعماق المحيطات .

لقد أثار اهتمام ذلك العالم خبر ذلك الوحش الرهيب الذى يهاجم السفن، واصطحب معه فى سفينته مجموعة من الباحثين فى رحلة علمية؛ بحثاً عن سر هذا الوحش .

وطالت الرحلة، حتى كاد الركاب أن ينسوا السبب الأساسى للإبحار، إلى أن هاجمهم، ذات ليلة، تنين رهيب أتى على السفينة، ولم ينج سوى لاند وأحد الركاب، ومعهم أروناكس. وفى الصباح يكتشفون أن ذلك التنين ليس سوى غواصة الكابتن نيمو.

هذا الرجل، إنسان نباتى، يعيش فى أعماق البحر، طعامه من هناك، سجائره، شرابه ، مسكنه، لقد أثار الحقد فى قلبه كراهية البشر، عندما سجنه وهو البرئ، وشاهد قسوة الإنسان لأخيه الإنسان فى معاملة السجان للمساجين.

الإنسان مخلوق والشر فى داخله، يستمتع بإيذاء الآخرين؛ ولذا فإن نيمو قرر اعتزال الناس، ويسعى إلى الانتقام منهم عن طريق غواصته، التى لم تكن قد ابتكرت فى عام ١٨٦١. هذه الغواصة يستخدمها قائدها فى تجاربه العلمية؛ حيث إنه عاشق متيم بالتجربة العلمية ويهب حياته للعلم، ولذا فهو حين يحس أن قاعدته تتعرض للخطر، فإنه يفجرها بنفسه ويركب غواصه؛ كى يلقى الجميع مصيرهم المحتوم.

الكابتن نيمو يواجه العالم أروناكس، الذى بدأت تربطه علاقة ودودة؛ خاصة أن نيموقرأ له الكثير من أعماله العلمية التى أعجب بها لكن أروناكس لا يشاطره أفكاره عن البشر بأنهم أشرار، ومع ذلك فهو يفضل أن يعيش فى هذه الغواصة، ولكن البحار لا يميل إلى البقاء فى المكان، فهو بحار مخلوق من أجل الحرية والانطلاق، ليس للحبس داخل غواصة بقية حياته.

وسط هذه العلاقات، بين أربعة اشخاص، تدور أحداث الفيلم، وهناك سمة مشتركة فى كل من فيرن وفليتشر فى أنهما لا يركزان هنا كثيراً على العلاقات الإنسانية، بقدر الاهتمام بالحدث. ولذا فإن الفيلم قد اهتم بعالم البحار، والصراع مع ساكنيه أو التأقلم فيه، وقد تعهد المخرج ألا يصور الصراع بين جماعة نيمو وبين الحيتان، على الرغم من الصراع بين البشر والحيتان قد صورتها السينما فى هذه الفترة فى فيلم "الأشقاء الشجعان" .. وصور هاجون هيستون بعد ذلك فى "موبى ديك" .. إلا أنه غير ذلك، فإن الفيلم التزم بالكثير من

حوادث الرواية، وإن كان قد أعطى الكثير من الاهتمام لشخصية لاند التى جسدها كيرك دوجلاس.

والمتتبع لأعمال جول فيرن من خلال، "عشرون الف فرسخ تحت البحر" يرى أن المؤلف يمكن أن يطلق على عمله "حول العالم تحت البحار"، كما يمكن تسمية أعماله الأخرى إلى "حول العالم تحت الأرض" ...، "حول العالم فى الفضاء".. أو " حول العالم من خلال منضاد".. ففى "عشرون فرسخ تحت البحر" نرى رحلة علمية، تقوم بها الغواصة تحت البحار؛ حيث تنتقل من المحيط الاطلنطى إلى الباسفيك، إلى قطعة من الأرض يسكنها قوم متوحشون. ثم تحت البحر الأحمر، ثم إلى مكان فى المحيط الهندى، حيث اكتشفوا الأطلنطيند القارة المفقودة، ومنها إلى القطب الجنوبى، وهناك يقول أروناكس إن العمل تحت الماء البارد يحتمل فى سبيل العلم فقط. ومن هناك إلى رأس الرجاء الصالح، فالعودة إلى الاطلنطى من جديد، إنها الرحلة نفسها التى قام بها فيلياس فوج فوق المياه، أما كابتن نيمو فإنه قام بهذه الرحلة أسفلها. وقد ركز مخرج الفيلم أكثر على عالم البحار وعلى الصراع،

الذى خلفه لاند محاولة الهروب من ذلك السجن، وقد حاول فلايشر أن يلخص الكثير من فصول الرواية وكان فى استطاعته الاطالة، مثلما فعل المخرج أندرسون مع فيلياس فوج فى رحلة أستغرقت وقتها تسعة وسبعين يوماً فى فيلم "حول العلم فى ٨٠ يومًا".. وعلى كل، فالالتزام بالفكرة العامة بالرواية وليس بها كلها. سمة عامة للأفلام المأخوذة عن الأدب؛ أذ إنها لو التزمت بالرواية الكاملة، لحدث مثلما رأينا فى التجربة السوفيتية؛ لتحويل "الحرب والسلام" إلى أربعة أفلام طويلة.

من الناحية العلمية، فإن التنبوء العلمى الذى اخترعه المؤلف فى هذا العمل، وصورته السينما متمثلًا فى ابتكار الغواصة قبل أن تتواجد فى الواقع، ومحاولة اعتماد الإنسان على أن يدبر طعامه من البحر، وأيضاً موضوع الطاقة الآلية التى تتولد ذاتيًا بقوة دفع خاصة، وهى المعروفة اليوم باسم الطاقة النووية، فهناك كثير من الغواصات الحربية، التى تعمل الآن بهذا النوع من الطاقة.

شبح فرانكنشتاين (١٩٥٨)

The fantom of Freinchenstien

ملأت شخصيتا فرانكنشتاين ودراكيولا شاشات القرن العشرين بمئات من الأفلام، باعتبارها من أفلام الرعب، إلا أن فرانكنشتاين هو أقرب الشخصيتين إلى نوع التخيل العلمى، بينما دراكيولا هو شبح قابع فى الظلام.. فرانكنشتاين هو عن مخلوق حي تم تكوينه من اشلاء آدمية جمعها طبيب من جثث متعددة؛ ليكون نموذجاً للقوة، والعلم.

البارون فرانكنشتاين هو، عالم أوصى أحد القتلة المأجورين أن ياتيه بشخص حديث الموت، فقام القاتل بالتخلص من فتاة بريئة وأتى بها إليه، حيث أعطاه أجره ثم بدأ الطبيب فى إجراء أول عملية زرع قلب فى التاريخ الحديث؛ حيث بدأ زرع قلب الفتاة الميتة، الذى توقف نبضه منذ قليل، ووضع صماماته فى بعض من الاكسجين، وبدأ القلب الميت فى النبض قليلاً قليلاً.

تقوم الشرطة بالهجوم على المنزل، فيهرب فرانكنشتاين

ومعه مساعده هانس، وتقلهم العربة إلى مسقط رأس الغريب، وهو المكان الذى لم يكن يود الرجوع إليه إلا إذا اضطرته الظروف، ولولا أن المكان هو ملجأه الوحيد ما عاد إليه.

كان قصر البارون فرانكنشتاين يقع فى أطراف المدينة ذلك القصر، الذى كان مسرحاً لتجربة أجراها عالم. لقد قام بتجميع مخلوق جديد لم يخلقه، وإنما قام بتجميعه وتصنيعه من جثامين بشر، ماتوا من قبل.. لقد تمكن فرانكنشتاين من أن يدفع الحياة إلى دماء مخلوقه البشع، وكم كانت فرصة له، وأن إنسانه الميت قد بعث حيا، وبعد عدة أيام بدأ يتحول، وبعد أيام أخرى بدأت قدماه تدقان فوق الأرض وبدأ يأكل، وكان وحشاً عملاقاً، فى إمكانه أن يقتل اكثر من شخص، من خلال قوته الفولاذية.

عندما قام بعض الأفراد بمشاكسة ومضايقة المخلوق المشوه، لم يتوان أن يقتلهم، إلا أن الشرطة طاردت هذا المسخ ثم ألقت به بين الجليد، ذلك هو ما تذكره البارون

فرانكنشتاين حينما عاد الى قصره، ثم راح يتجول فى جوانب قصره الضخم، والذى صار الآن خرابًا.. لقد سرق أبناء البلد الكثير مما كان فيه حيث استولى العمدة على الأجهزة، وامتدت أيدى أبناء القرية الى بقية ما هو ثمين حتى صار القصر خاوياً، بعد أن تم طرد فرانكنشتاين، وقتل مسخه المتوحش.

بدأ الطبيب فى البحث عن مسخه القديم، وعثر على جثمانه بين الجليد، أنه لا يزال متكاملا، فأسرع بنقله مع مساعده الى القصر من أجل أن يعيده الى الحياة ، وجهز الطبيب كل شىء، بدأ المسخ فى المطاردة ، وأسرع فرانكنشتاين إلى منزل المنوم المغناطيسى، وتحت التهديد حكى له قصة المسخ، وجاء المنوم، وبدأ يتلاعب بالعقل الباطن للمسخ؛ حتى بدأ يتمثل لأوامره، ويتحرك تحت تأثيرها.. وعليه، فإن المنوم عاش مع سكان القصر، وغدا أحد أبنائه الأربعة، البارون، والمسخ، وهانس، والمنوم الذى تنامى فى إحساسه بالجشع والجنون؛ لذا فإن المسخ يذهب الى بيت العمدة، ويقتله، ويسرق أمواله، ثم يعود إليه ويقوم المسخ بقتل العمدة

بطريقة بشعة، ويسرق الأموال، ثم يعود ، وتتكرر الجرائم، إلى أن يعلم البارون بالأمر فيثور، يدخل فى صراع مع المنوم ويقتله؛ مما يصيب المسخ بشىء من الجنون، فبدأ فى تحطيم كل ما أمامه، خاصة الآلة التى صنعته، واندلع الحريق فى الدار، ويخوض البارون قلب الحريق لينقذ مخلوقة، إنه رجل وفي، ولكن الحريق يلتهم المكان والأشخاص.

هذه الرواية التى كتبتها مارى شيلي عام ١٨٢٣ تحولت إلى عشرات الأفلام، ويمكن اعتبارها من أولى إرهاصات التخيل العلمى.

رحلة إلى منتصف الأرض (١٩٦٠)

Journey to the centre of the earth

فى عام ١٩٦٠، قدمت السينما الأمريكية هذا الفيلم عن رواية بالعنوان نفسه عن رواية لجول فيرن.

كان "البروفيسور" هو أحد الحالمين بالقيام بمغامرة جنونية، لم يقم بها أحد فى العالم من قبل، فهو يعرف أن عديدًا من العلماء فكروا فى السفر إلى الفضاء، وإلى أعمق البحار وفوق سطح الأرض، وفى الجو، لكن أحداً لم يجرب الرحلة إلى باطن الأرض..

ومن وقت لآخر، كان البروفيسور يتحدث مع ابن أخيه الشاب المغامر " أكسيل" عن امكانية القيام بهذه الرحلة ..

فعندما سأله "أكسيل" عن مدى الصعوبات، التى يمكن أن يواجهها المسافر إلى باطن الأرض؛ لأن درجة الحرارة هناك عالية ، رد:

- تعرف أننى أستاذ فى علم الجيولوجيا. وقد توصلت أن باطن الأرض ليس ساخناً أو ملتهباً مثلما يعتقد

البعض.. ولو كان ساخناً لانفجرت الكرة الأرضية تماماً..

لم يكن البروفيسور من الأشخاص، الذين يتركون للمصادفات أن تلعب دوراً فى حياتهم. وبدأ يعد عدته للنزول إلى باطن الأرض.. كان الشيء الوحيد الباقى هو أن يقنع ابن أخيه "أكسيل" أن يسافر معه، وبدا "أكسيل" متردداً؛ فمثل هذه الرحلة مليئة بالأخطار..

وقد لاحظت "جروين" الفتة الجميلة التى خطبها "أكسيل" مدى الشرود الذى أصاب خطيبها فى الفترة الأخيرة..

كان "البروفيسور" هو أكثر الناس سعادة بقرار "جروين" فها هى تدفع "اكسيل" أن يذهب معه. وقد وافق والدا الفتاة أن تذهب مع خطيبها وعمه إلى أطراف العالم، رغم أنهما كانا يثقان أن "البروفيسور" لا يمكن أن ينزل إلى باطن الأرض..

وبدأت الاستعدادات للقيام بالرحلة. وبعد عدة أيام كانت الباخرة ترحل بالثلاثة من ألمانيا إلى أيسلندا .. وطوال

أيام، كان "البروفيسور" يستعد للسفر إلى البركان فى أقصى الشمال، وأخذ يبحث عن دليل يمكنه أن يذهب معه إلى قمة البركان..

وبدأت الرحلة إلى البركان البعيد.. وكانت رحلة شاقة خاصة على الفتاة "جروين"، لكنها ودت أن تتماسك..

- قررت أن أكون معكم فى نهاية الرحلة.

وبعد يومين، تمكنت البعثة من الوصول إلى قمة الجبل البركانى، وصاحت "جروين" وهى تشعر بالسعادة:

- إنه أجمل ما شاهدت فى حياتى..

كانت الجبال الصغيرة تمتد أسفل قمة البركان تملأ العيون.. والصمت الرهيب يسيطر على المكان، وكل شىء مغطى بالجليد الأبيض..

- يجب أن يربط كل منا نفسه بحبل قوى. كى نستعد للنزول..

وكانت العملية صعبة؛ فالهبوط من أعلى الفوهة إلى أعماق البركان أمر صعب، فليس هناك ضوء بالمرة..

كان على الأربعة النزول من فوهة البركان إلى أسفل، ولأن المكان كان مظلمًا، فقد أحس الأربعة بكثير من الخوف. وبدأ الجميع النزول الواحد وراء الآخر؛ فربطوا الحبل فى قمة الفوهة.. ولأن "هانس" رجل مدرب على مثل هذه الأعمال، فلم يكن الأمر صعباً كثيراً بالنسبة له..

وجاء دور النزول على "أكسيل" وتماسك الشاب وبدأ ينزل. وكان من حسن الحظ أن صخور جوف البركان مدببة؛ بحيث يمكنه أن يسند قدميه كلما نزل.. ومن وقت لآخر، كان صوت "هانس" يأتى من أسفل..

- هيا .. لقد اقتربت..

كان النزول شاقًّا للغاية فى البداية.. ولكن بعد عديد من المرات أصبح أمراً سهلاً، بل لقد بدأ بعضهم يطلق تعليقات ظريفة، وكأنه يتزحلق فوق الجليد..

عندما استيقظ المغامرون الأربعة فى اليوم التالى، بدأ "البروفيسور" يراجع أجهزته لقياس الحرارة والضغط الجوى، وقال:

- كان أبرز ما لاحظوه أن البركان ليس ساخناً مثلما تخوف "أكسيل" فيما قبل، وقال البروفيسور إنهم يجب أن يتناولوا كميات كبيرة من الطعام؛ لأن أمامهم رحلة شاقة من أجل النزول فى الأعماق الحقيقية لباطن الأرض..

كان "البروفيسور" يعرف أنه كلما هبط الإنسان مسافة مائة قدم فى أعماق الأرض. فإن درجة الحرارة تزداد بنسبة درجة واحدة، وعلى هذا الأساس يقوم بحساب المسافات، التى ينزلونها فى الأعماق..

واصل المغامرون مسيرتهم يومين آخرين.. وبدأت المياه تقل بشكل ملحوظ، وأحسوا باليأس، إلا أن "البروفيسور" بدأ متحمساً وقال:

- اسمعوا.. لست ممن ييئسون.. تعلمت من التاريخ أن اليائسين يفشلون.. وتسرب الإصرار بدوره إلى كل الباقين.

وتقدم الأربعة فى الممرات، ثم انحدروا أسفل إلى باطن الأرض.. ولأول مرة تسرب اليأس إلى قلوبهم، وأحس "أكسيل" بالهذيان، أما الدليل "هانس" فقد اختفى فجأة..

ولقى كل منهم بأحماله، وأسرعوا خلف "هانس"، وساروا فى ممر ضيق، واكتشفوا نهراً جوفيًّا، فراحوا يشكرون الله على نجاتهم.

- علينا التأكد من أنها مياه صالحة للشرب..

ورغم أن المياه كانت ساخنة، فإن طعمها كان أشهى شىء تذوقوه فى حياتهم..

لم يعرف الرجال أن "جروين" ضلت طريقها، ووجدت نفسها فجأة، تسير فى أحد الممرات متصورة أن الآخرين يمشون معها.. وعندما عادت إلى الطريق الذى بدأته اكتشفت أنها تاهت.. فى تلك الفترة، كان الرجال الثلاثة يبحثون عن الفتاة، وكان "أكسيل" أكثرهم خوفاً على خطيبته.

وقال العم، وهو يحاول أن يهدئ من روع "اكسيل" :

- لاتخف.. نحن فى باطن الأرض، وحتماً سنلتقى، وأخذ "هانس" يضرب الجدران بمطرقة ثقيلة. وكانت فكرة ممتازة؛ حيث سرعان ما تسرب الصوت عبر جدران الممرات، ووصل إلى الفتاة حيث تنام..

وفجأة، تيقظت جروين، وأخذت تصرخ:

- أكسيل، أكسيل..

فجأة، وبينما تتحرك الفتاة إلى جوار الحوائط، شاهدت عموداً طويلاً من الذهب. فأسرعت والتقطته، وأخذت تطرق به على الحائط.. وعلى الفور راح صدى الطرق يتسرب عبر الحوائط، حتى تمكن "هانس" من سماعه فصاح:

- إنها هناك..

وأسرع "أكسيل" نحوها، يلتقطها قبل أن تسقط، فقد كانت أكثر قرباً منه.. بينما انشغل "هانس" بالعمود الذهبى، الذى بين يديها وصاح:

- يا إلهى .. إنه ذهب.. من أين أتيت به..؟

هنا ضحك "البروفيسور"، وقال: هل رأيت يا صديقى أن الحياة أغلى من الذهب..؟

وأمسك "هانس" العمود الذهبى بين يديه.. ثم أحس بفائدته أكثر من قيمته المالية، فألقاه أرضاً، بينما غرقت الفتاة فى نوم عميق..

بعد أن استراحت الفتاة، راحت بعثة المغامرين الأربعة تفكر فيما يمكن أن تكون عليه الخطوة القادمة، فقد استطاع "البروفيسور" أن يحدد المسافة، التى قطعوها فى باطن الأرض.. وفكر فى أن يقوم بجولة حول العالم تحت باطن الأرض..

راحوا يندفعون داخل البحر العميق

وبدأت الرياح تدفع المركب؛ كى يكتشفوا ما لم تره أى عين بشرية من قبل..

بدأت الرحلة فوق اليابسة.. وكان "البروفيسور" يتبع أجهزته بدقة، وتوغل الأربعة داخل غابة كثيفة، وفجأة صرخت الفتاة:

- يا إلهى .. هناك شىء أشبه بالفيل!!

واختبأ الأربعة خلف الأشجار، وهم يسمعون أقدام حيوان ضخم يدوس الأشجار. وهنا همس "البروفيسور" قائلا:

- إنه ليس فيلًا.. بل هو حيوان "الماموث"، وهو أشبه

بالفيل، ولكن دون زلومة.. وقد انقرض منذ ملايين السنوات من فوق الأرض .

وطالت الرحلة.. وامتدت أياماً وأسابيع أخرى.. ووصلوا فى النهاية إلى قاعدة بركان، وكانت المشكلة هى كيفية الصعود إلى قمة البركان.

صاح "البروفيسور"، كالعادة، وكأنه وجد الحل:

- ألسنا فى قاع بركان. إذًا فلم لا نستغل الغازات الخفيفة المنبعثة داخله؛ كى نصنع بألوناً يدفعنا خارج فتحة البركان ..

وبدأت الفتاة فى صناعة بالون ضخم من الأقمشة، التى كانوا يحملون فيها حاجاتهم.. وعندما انتهت الفتاة من حياكة أقمشة البالون كان "أكسيل" و "البروفيسور" قد صنعا قاعدة البالون وراحوا يركبون فيها.. وكانت المشكلة هى كيفية ملء البالون بالغازات الخفيفة.. وراح "البروفيسور" يعمل رأسه؛ كى يستطيع توصيل فوهة البالون بإحدى الفوهات، التى ينفذ منها الغاز.. وبالفعل نجح أخيراً فى ذلك ..

ولم يكن الصعود بالأمر السهل.. فلو اصطدم البالون

بالصخور فسوف يتمزق، وسيقعون من أعلى وتتحطم أجسادهم.. ولكن الحظ كان حليفهم، فقد دفعت الغازات البركانية البالون بكل قوة، وراحت تنفذ به من فوهة البركان، واقتربت الفوهة شيئاً فشيئاً ..

ولأول مرة منذ عدة شهور شاهد، الأربعة السماء الزراقاء، والجبال الأرضية، وراح البالون يحلق بهم فوق جبال إيطاليا الجليدية، وراحت الفتاة تستنشق الهواء ملء صدرها.. أما "البروفيسور" فكان أسعد البشر.

obeikandl.com

فهرنهايت ٤٥١ (١٩٦٦)

Fehrenhiet 451

تنوعت أفكار أفلام التخيل العلمى إلى شتى الموضوعات، التى يمكن للإنسان أن يقدح فيها خياله، ومنها موضوع نمو الوعى الثقافى لدى الشعوب، أيًا كانت مكانتها بالحضارة المعاصرة..

ترى هل يموت الفكر.. هل يموت أرسطو وسارتر وديكنز .. هل ماتوا أم هم من الخالدين مع البشرية .. إن هذه البلدة الغريبة ترى أن الكتب تجلب التعاسة على الناس؛ فطالما أن الإنسان يفكر فى ذاته فهو يعيش، وكذا نرى أن حياة أهلها سطحية، رغم التقدم العلمى الهائل الذى تعيش فيه.

أنهم يحاربون الثقافة والكتب بوجه عام فلو وجد أى كتاب مع أى إنسان تعتبر جريمة لا تغتفر .. ولذا فقد ظهرت علوم جديدة اسمها "البحث عن الكتابة فى مدرسة المطافى.. كان مونتاج أحد هؤلاء الرجال.. يتحرك وسط الخيالات.. ويرتدى ملابس الحريق لإشعال الكتب المضبوطة بحرارة

٤٥١ فهرنهايت؛ ولذا نرى أن حياته سطحية إلى حد بعيد .. فهو حينما يعود من عمله يجد زوجته ليسا مشغولة بالبرامج التليفزيونية السطحية عن زوجها .. فيعيش مونتاج داخل عالم غريب مشوش.

لذلك كانت مهمة كلاريس سهلة فى أن تجذبه إليها.. فعندما تعرفت عليه فى القطار، أبلغته انها جارة، وسارت معه إلى منزلها.. كان لا يجد ردًا مقنعاً عن سبب حرق الكتب، سوى أنها مفسدة للعقل .. لذا، فإنها سرعان ما ستحوله إلى ناحيتها، لقد التقت معه كلاريس أكثر من مرة، أحس خلالها بمدى عمق نقائها وهدوئها ورزانتها .. ولذلك لم يتردد؟؟ فى أن يعود يوماً إلى منزله، وقد أخفى معه كتاب "دافيد كوبر فيلد" ثم أخذ يقرأه..

فى المساء، بعد أن نامت زوجته أخرج الكتاب، وأخذ يردد عباراته التى ما لبث أن ملكت به شقًا فى عقله، فأخذ يقرأ بصوت مسموع.

أثر هذا الحادث على مونتاج أشد التأثير، فنراه فى اليوم

التالى غير مهتم لحرق الكتب بالحماس نفسه، الذى كان لديه من قبل وعندما عاد إلى منزله يثور على زوجته وزميلتها، وهم يشاهدون هذه البرامج السخيفة السطحية؛ فيقرأ عليهم إحدى فقرات الكتاب، الذى بين يديه حتى استولى على كل واحدة إحساس غريب، وأخذت الصديقات فى البكاء، ثم تركن المنزل وسط غضب زوجته ليندا، التى ترى أن الكتب مفسدة للأخلاق والعقل.

أخذت علاقة مونتاج بكلاريس تزداد يومًا وراء يوم .. أما علاقته بزوجته، فكانت تنفصل أكثر، وأكثر، وبدأت علاقته بأحد زملائه فابيان تأخذ الشكل العدائى من جانب الزميل حتى يراه هذا الأخير، وهو يخفى كتاباً فينتظر الفرصة لأن يشى به.

كان الحادث الذى أثر أكثر فى مونتاج، عندما أبلغ أحدهم عن وجود الكتب فى بيت كلاريس.. وعندما دخلت شرطة المطافى منزلها، وجدت صديقتها العجوز التى أصرت ألا تخرج من وسط الكتب الكثيرة عند حرقها .. وماتت

شهيدة وسط صفحات الكتب وتوالت الحوادث ، اختفت كلاريس لأنه مطلوب البحث عنها لوجود كتب بمنزلها ، وأبلغت ليندا عن زوجها، وفى الحملة التفتيشية التى قاموا بها على منزله، أمر رئيس الشرطة مونتاج أن يحرق الكتب بنفسه .

يسلط مونتاج النيران على رئيسه حتى يرديه قتيلا، ثم يهرب وتتعقبه مطاردات كثيرة بالطائرات والسيارات.

لم يجد مونتاج شيئًا أمامه الا أن يذهب إلى حيث أشارت عليه كلاريس أن يذهب.. كان هناك كثيرون من الهاربين من العدالة بتهمة اقتناء الكتب.. يصل مونتاج إلى عالم حدثته كلاريس عنه، إنها مدينة الكتب الحية يستقبله أحدهم دوهنرى ويقول له إنهم كانوا فى انتظاره .. ويريه عن طريق التليفزيون كيف ضللوا الجماهير بفيلم مزيف عن انتحاره ومصرعه، ويعرف مونتاج أن عالمه الجديد أصبح هؤلاء الناس.. هذا هو أرسطو أو كتاب الجمهورية لأفلاطون والآخر «الأمير» لميكافيللى.. ثم " أليس فى بلاد العجائب" كان كل رجل منهم يعتبر مكتبة متنقلة أو كتابا حيا فهو يحفظ

الكتاب عن ظهر قلب يتعرف عليه الآخرون؛ ولذا يعتبر كلا منهم كتابًا بمفرده..

أما هذا العجوز الذى على وشك الموت ، فقد كان يرى أنه سميت معه الكتاب الذى يحفظه فى ذاته؛ ولذا أخذ يتلوه على حفيده حتى حفظه، وعندما مات لم يكن هناك أى حزن من موت الكتاب

أحس مونتاج بأن هذا العالم الجديد حيث كلاريس وأناس الكتب هو عالمه الوحيد.. وأخذ فى اختيار أحد الكتب ليحفظها وينضم إلى عالم الكتب .. إنه العالم الذى يحوى الكثير من الكتب حول التخيل العلمى؛ حيث إن راى براد بورى، ومن بعده المخرج الفرنسى فرانسوا تريفو قد صنفا موضوعًا أساسيًّا وجذابًا فى عالم التخيل المستقبلى.

رحلة العجائب (١٩٦٦)

Fantastic voyage

نجح الكتاب غير التقليديين فى عالم التخيل العلمى أن يخرجوا من الموضوعات المألوفة، مثل: غزو الفضاء، أو الرحيل إلى أعماق البحار والأرض؛ لعمل قصص وروايات بالغة الطرافة مثلما فعل الكاتب اسحاق أزيموف فى "رحلة العجائب"، التى تحولت إلى فيلم، أخرجه ريتشارد فليشر عام ١٩٦٦؛ حيث أن الرحلة هنا ليست فى مكان مألوف، بل فى داخل جسم الإنسان، الذى هو أكبر لغز بشرى حتى الآن؛ حيث لم يستطع أحد أن يسبر غوره..

إنه موضوع طريف يعتبر ثانى فكرة بارزة، بالغة الأهمية، بعد الرحيل عبر الزمن الذى ابتكره ويلز؛ فهذه رحلة فى داخل الكائن الحى خاصة الإنسان، وبشكل أكثر تحديداً فى جسم عالم، يحتفظ عقله بالكثير من الأسرار.

كان المطار محوطاً بفرقة مدرعة من الشرطة، حينما نزل

منها العالم الأشهر واستقبله أحد الأوفياء، "ستيفن بويد" ثم استلوا سيارة فى حراسة من الشرطة.. لأن معه أسرار مهمة فى العلوم و الأسلحة الذرية.. إلا أن كل هذا لم ينفع بشىء.. فقد انطلقت سيارة من أحد الطرق، واصطدمت بالسيارة التى تقل العالم.

وأسرع العلماء بنقل العالم إلى أكبر مستشفيات أمريكا .. إنه لم يمت بعد.. ولعله لن يموت.. ولكنهم بالفحص وجدوا الرجل قد فقد الذاكرة.. وأن هناك جلطاً عصبيًّا قد حدث به ارتجاج فى الرأس ..وكانت عقدة .. إلا أن العلم استطاع أن يحلها .. وكانت المغامرة جريئة.. حيث تم اختيار خمسة من الأطباء، بينهم فتاة راشدة .. وكانوا أشد ما يخافون منه، أن يشعر الخصوم بالعملية الكبرى التى ستتم، واقتصر الأمر على أن يركب الخمسة غواصة غريبة الشكل.. ثم يسلط عليهم نوع من الإشعاعات.. فيبدأ حجم السفينة، يقل شيئاً فشيئاً؛ حتى أصبح فى حجم الدبوس، ثم وضعت فى حقنة.. ونقلت إلى جسم المريض.

تنزل الكبسولة إلى الجسم.. تمر فى تيار الدم .. تندفع وتسير فى مجرى الدم وفى الشرايين، كأننا تحت سطح البحر.. ولكن المنظر أبدع؛ إذ إن هناك كرات دموية حمراء وبيضاء .. والأجسام الأخرى الموجودة فى الدم.. عالم ساحر .. فريد !

ويندهش الأطباء الخمسة لهذه الحياة، التى تعيش داخل الإنسان، ولم يشاهدها إنسان منا .. أو أى إنسان من قبل .

وبعد هذا المنظر الذى أدهش الاطباء الخمس، عاد كل منهم إلى قواعده فى الكبسولة .. هذا وإن رئيس الأطباء قد لاحظ أن بداية المهمة العملية، شهدت عطلاً قد حدث فى السلاح الذى سيذيبون به الأنسجة المريضة؛ ففهم أن هناك من يحاول أن ينسفه الرحلة.. ولكنه لم يحدد بالضبط من وراء ذلك .. وبعد قليل تناسى الأمر تماماً، حيث ترحل السفينة، وتمر بين أنسجة الرئة، وتسير بين عضلات القلب والخلايا والأنسجة.. فيحدث بالسفينة عطب .. ويحدث الانفصال بين القاعدة خارج الجسم والسفينة.. فتبدأ الكبسولة تسير تحت قيادة المجموعة فى طريقها إلى المخ.. قابلهم فى الطريق الانسداد، فنزلوا يفتحون لأنفسهم طريقاً.. إلا أن أحدهم

يسقط فى هاوية كبيرة، يحاولون البحث عنه.. ويدرك أن هناك إنساناً وراء هذا، إلا أنه ظل متعلقاً بالسفينة.. ثم بدأ نجدته بحبل الإنقاذ..

وفى وقت آخر.. تبقى الفتاة المنقذة خارج السفينة.. ويقبل عليها عديد من كرات الدم .. تقاومها فى مهاجمة الأجسام القريبة من الجسم.. إلا أنهم ينقذونها بصعوبة.

ويلاحظ أن هناك بالفعل فيروسًا، يحاول أن يفسد المهمة العلمية.. وحين يخرجون بهدف إذابة الخلايا.. تقترب السفينة مسرعة نحوهم بهدف قتلهم.. ولكن الباقين يشعرون بالخطر؛ فيهاجمونها، وتعطب السفينة ويحدث عطل بداخلها.

ويتم إصلاح العطب .. وها هو الوقت قد حان؛ كى تنتهى عملية التصغير، إذ لا شك أن فى هذا كارثة سوف تجعلهم يعودون إلى أحجامهم العادية، ويحدث مالا يحمد عقباه، وكان أول شىء فكروا فيه.. أن يسلكوا الطريق إلى العيون بهدف الخروج منها .. ويخرجون .. ويلتقطهم أحد الأطباء على شريحة صغيرة فى المهمة العلمية، ثم يضعهم ويعودون إلى حجمهم الطبيعى وسط ثمانية من زملائهم.

كوكب القرود (١٩٦٨)

The Planet of apes

ترى، هل يمكن للإلمام التام بكل ما يتعلق بفيلم ما أن يفسد المشاهدة؟

سؤال يطرح نفسه حين مشاهدة فيلم من طراز "كوكب القرود" إخراج تيم بيرتون ٢٠٠١، الذى مهدت شركة الإنتاج فوكس لمشاهدته قبل عرضه بعامين، وربما أكثر . منذ أن احتفلت الشركة نفسها فى عام ١٩٩٨، بمناسبة مرور ثلاثين عاما على إنتاج فيلم "كوكب القرود" إخراج فرانكلين شافنر عام ١٩٦٨ .

هذا الفيلم مأخوذ بدوره عن رواية فرنسية منشورة عام ١٩٦٢ للكاتب بيير بول، وهى رواية بالغة الأهمية. من بين الروايات التحذيرية العديدة، التى حذرت من اندلاع الحرب العالمية الثالثة، بأنها سوف تفرز عن ظهور عصر جديد، هو عصر سيادة القردة، وتحول البشر إلى عبيد لهذه القردة، وتدور الرواية فى المستقبل حول رحيل فريق من العلماء إلى كوكب

القرود، ويكتشفون أن سكان هذا الكوكب من القردة، وعندما يهرب الراوية إلى الأرض، وينزل شوارع باريس، يكتشف أن رجال الشرطة أيضا قردة، وأن هؤلاء سيطروا على الأرض وصاروا سادتها..

وعندما قامت السينما الأمريكية بإنتاج هذه الرواية، كان لابد من أمركة أحداثها، وقدم شافنر عملاً راقياً، مليئًا بالفكر والترقب، وحسبت له النهاية المدهشة حيث يفاجأ تايلور بأنه قد هبط فوق الأرض بعد انفجارها عقب الحرب العالمية الثالثة، وأن تمثال الحرية قد انكسر وارتمى فوق رمال الشاطئ، فأخذ يصرخ بكل عنف: لقد دمرتموها.. دمرتموها أيها المجانين.

وتبعا لنجاح هذا الفيلم، قامت الشركة نفسها بإنتاج أربعة أفلام أخرى، كانت أقل مستوى من فيلم شافنر، وهى "خفايا كوكب القرود" ١٩٧٠، و "الهروب من كوكب القرود" ١٩٧١، و"ثورة كوكب القرود" ١٩٧٢، ثم "معركة كوكب القرود" ١٩٧٤، وتوقفت السلسلة، ثم تحولت إلى

مسلسل تليفزيونى لم يعرض فى مصر. وفى عام ٢٠١١ تمت إعادة إنتاج "معركة كوكب القرود" إلى فيلم متميز باسم "سطوع كوكب القرود".. ورغم ذلك، فإن النهاية المفاجأة التى صدمنا بها شافنر تعد واحدة من أروع النهايات السينمائية على الإطلاق؛ مما يجعل المرء يفكر قبل مشاهدة عمل جديد مأخوذ عن الرواية، مطروحاً بسؤال: هل كان يمكن لتيم برتون أن يصنع فيلما له القيمة نفسها.. ورغم الفارق الهائل بين فكر كل من بيرتون وشافنر، فإن الأول معروف بتقنياته المتقدمة، ولذا لابد للنظر للتجربة الجديدة بالمزيد من الاهتمام؛ لأن بيرتون قدم أفلاماً بالغة الأهمية، منها "الرعب النائم" وأيضا فيلم التخيل العلمى "هجوم المريخ"، وسوف نرى تأثره الواضح بفيلمه الأول فى فيلمه الجديد؛ خاصة ما يخص بالأجواء الليلية وديكوراتها، الأقرب إلى لوحات مليئة بالغرابة والظلمة.

لاشك أن بيرتون لم يشأ أن يقدم إعادة واضحة للفيلم القديم، ابتداءً من مكياج الوجوه، وسيطرة أجواء الليل على

أحداث الفيلم، والاهتمام بالديكور المعقد، بالإضافة إلى حبكة القصة، وتغيير أسماء الأبطال ومحاولة معالجة الرواية نفسها بما يراه هو، والمعروف ان بيرتون يقوم عادة بإضافة كثير من الأجواء، والتفاصيل التى يحبها فى أفلامه؛ خاصة المأخوذ منها عن روايات ومنها "الرعب النائم".

الفيلم هنا يبدأ فى سفينة فضاء، مثلما حدث فى الفيلم الأول، والرحلة تبدأ عام ٢٠٢٩، وليس عام ٢٠٠١ كما تخيل شافنر، والسفينة هنا ضخمة من طراز السفن الفضائية، التى رأيناها فى فيلم "٢٠٠١ أوديسا الفضاء" و"غريب من الفضاء"؛ أى إنها بمثابة مدينة فضائية، يمكنها أن تظل فى الفضاء لسنوات طويلة مع ركابها، والسفينتان هنا للأبحاث. وفى فيلم شافنر، نرى أفراد الطاقم ينامون فى سبات طويل قدره ألف سنة، كأنهم أهل الكهف.. أما فى سفينة بيرتون، فإن هناك أبحاثاً حول "سلوك القردة فى الفضاء"، وهناك قرد نقلت به مركبة فضاء إلى منطقة خطرة، فيسرع صديقه رجل الفضاء ليو بمحاولة استعادته، ويخرج عن قواعد السفينة

وينطلق بمركبته وراء القرد لينقذه، كما يسقط فى كوكب غريب، وتغرق سفينته فى بحيرة، ويفاجأ أنه مساعد مع مجموعة من البشر، من قبل مجموعة من القردة الأذكياء، يدفعونهم وهم يركبون الجياد، ويذهبون بهم إلى مدينة تحكمها القردة .

الأجواء المتشابهة بين الفيلمين والرواية، هى سقوط رجل الفضاء فى كوكب غامض، تحكمه القردة الذكية، وأن البشر فى هذا الكوكب يعانون من أنهم يعيشون كعبيد للقردة، وهناك بعض التفاصيل المختلفة، مثل أن سبب تخلف البشر هو إجراء عمليات تربنة فى المخ للإنسان؛ حتى يكف عن التفكير؛ ولذا فإن زعيم القردة زيوس فى الفيلم الأول ينزعج جدًّا من وجود إنسان ذكى هو تايلور، وهذا الأمر غير موجود فى فيلم بيرتون، فالإنسان هنا مطحون، ولكنه لم يفتقد ذكاءه بعد.

وفى الأعمال الثلاثة، الرواية والفيلمين، فإن القردة تعيش

فى تخلف حضارى، ولم تسع إلى تشكيل تقنيات جديدة، وتؤثر أن تعيش فى حياة بدائية، ربما تخوفًا من نتائج التقنيات البشعة بمحاولة لإعادة تدمير الأرض، كما أن هناك من القردة من يتعاطف مع ما يسمى لديهم، ولدينا أيضًا، بحقوق الإنسان. وفى فيلم شافنر هناك باحثان من القردة فى شئون الإنسان وهما خطيبان يسعيان؛ لإثبات أن الإنسان يمكن أن يكون ذكيًا، وأن يتكلم مثل القردة.

أما فى فيلم "بيرتون"، فإن القردة آرى تغرم بالإنسان من أول نظرة، وتشتهيه رغم أنها مخطوبة إلى ثاد أحد زعماء القردة، والذى يمثل العنصر الشرير فى الفيلم، وتحاول أن تقرب الإنسان إليها، فتقوم بشرائه وتذهب به إلى بيتها، حيث إن أباها هو المحافظ، الذى رباها على الحرية والقيم.

وهناك فى الأعمال الثلاثة مناقشات حول علاقة الإنسان بالكون؛ ففى فيلم شافنر فإن مجرد الحديث عن حضارة أخرى غير حضارة القردة يعد من أمور الهرطقة، التى تقابل بالعنف الشديد والأحكام الصارمة، ويصر تايلور على أن ينقل أفكاره

إلى مجلس شورى القردة، وهذا المجلس غير موجود فى الفيلم، بل يوجد طاغية من طراز ثاد، مهمته تدمير نوايا ليو وقتله، والتخلص من كل شىء يدل على أن هناك حضارة للبشر، ابتداءً من المركبة الغارقة فى البحيرة، وانتهاءً بالسفينة الموجودة فى الكهف.

أما فيلم بيرتون، فقد أشار إلى أن القردة صنعوا لأنفسهم عقيدتهم، وجعلوا من القرد الأكبر، الذى كان السبب فى تأسيس كوكب القرود شخصاً يحمل اسم sesus على وزن jesus ، وراحت القردة تخاطب هذه الآلة، بالتعبيرات المسيحية نفسها المعروفة فى الإنجيل، وبدت السخرية واضحة من أن القردة قد تحولت إلى معبود فى الفيلم .

لكن الاختلاف الواضح فى فيلم بيرتون، أن المخرج وضع فيه كافة خبراته السابقة فى إخراج أفلام العنف؛ فهو الذى جعل من أغلب أفلامه السابقة ساحة للعنف والمواجهة، ابتداء من "الرجل الوطواط" الأول ، وامتلأ فيلمه "الرعب النائم" بالدم والخرافيات؛ لذا فإن أغلب

أحداث الفيلم الجديد تقوم على معارك دامية بين الجيوش، جيوش القردة التى تزحف فوق الأرض، وتستقر، ثم فجأة تنهار عندما ينفجر مخزن الوقود للسفينة الفضائية، التى حطت فوق الكوكب .

كما أن المعركة القردية التى تدور بين ثاد وليو تبدو بالغة الشراسة مما يعكس الفارق الهائل بين إيقاع أفلام نهاية الستينيات وبداية العقد الأول فى القرن الواحد والعشرين، وهو الأسلوب الذى رأيناه فى فيلم "سطوع كوكب القرود"، وهناك تفصيلات عديدة نتجت عن هذا، حاول فيها المخرج بيرتون إثارة الدهشة، وإيجاد تفسيرات لتكوين كوكب القرود، فبعد أن خرج ليو من سفينة الفضاء بحثًا عن قردة ، ثارت القردة، وراحت تخرب المعامل فى السفينة، وجنحت القردة إلى كوكب غريب، وصنعت كوكباً من القردة، التى تمردت على الإنسان، تحت قيادة سيسوس ...

وكأنما الفيلم هنا يشير مثلما حدث فى الرواية، أن هناك كوكبًا توأمًا للأرض، به قردة تحكم البشر، وأن الأرض أيضًا

يحكمها البشر، وقد حول الفيلمان، خاصة فيلم بيرتون، شخصية الفتاة التى تحب رجل الفضاء إلى شخصية هامشية.. مجرد فتاة جميلة، فى مقابل القردة العاشقة ، أما فى الرواية، فإن القردة الباحثين، قد أقاموا الأبحاث على رجل الفضاء، بأن وضعوا رجلًا فى قفص الفتاة؛ فأشعلوا الغيرة فى قلب الرجل؛ كى يثبتوا أن الإنسان حيوان لأنه يشعر بالغيرة ..

والنهاية، كما أشرنا فى فيلم شافنر، هى الأروع ولكن بيرتون صنع نهاية مدهشة أيضا، فبعد أن يصر ليو على الرحيل إلى الأرض وينزل إلى مدينة نيويورك، ويدخل إلى قاعة الخالدين؛ حيث تمثال ابراهام لينكولن؛ فإن ليو يفاجئ أن التمثال لقرد، وسرعان ما تأتى الشرطة من أجل القبض على ذلك القادم من الفضاء، عبر الزمن، ونكتشف أنهم من القردة، أسوة بنهاية الرواية؛ فالفضائى ينزل إلى باريس، وينادى رجل شرطة يطلب منه إنقاذه من القردة الذين جاءوا خلفه من كوكب القرود، واذا يلمس يده فيجد أن الضابط الباريسى غزير الشعر فى يده .. إنه قرد ... أيضًا.

تنتمى مجموعة هذه الأفلام إلى التخيل العلمى، وهى أيضًا تنتمى إلى التخيل العلمى السياسى، فهى أفلام تحذيرية مما يمكن أن يأتى المستقبل، من سيطرة جنس آخر ذكى على كوكب الأرض، بما له من مهارة.. المهم أن تزداد نسبة الذكاء عنده. وكما رأينا، فإن فيلم "كوكب القرود"، الذى قدمه فرانكلين شافنر قد اختير فى كافة القوائم من بين أفضل التخيل العلمى... إلا أن رغم أهمية فيلم تيم بيرتون، فإنه عند المقارنة لعمل قوائم الأحسن، فإن الأفضلية تذهب إلى الفيلم الأسبق، الذى قام ببطولته شارلتون هستون، وهو الممثل الذى قام ببطولة العديد من الأفلام المستقبلية، ومنها "إنسان الأومجا" و "الشمس الخضراء".. وغيرها..

- لقاءات قريبة من النوع الثالث (١٩٧٧)

Close encounters with the third kind

قال أحد الخارجين من مشاهدة الفيلم لزميله: كلها خرافات ..

الأكثرية تؤكد أن ما شاهداه على الشاشة مصنوع من أجل الضحك على الناس.. لقد أعتادوا أن يشاهدوا هذه الأشياء فى أفلام جيمس بوند وجودزيلا ، و"كينج كونج" ، وراحت الأفلام تتحدث عن خوارق لا يمكن حدوثها، لكن الجمهور يخرج من هذه الأفلام راضياً منتشيًا من أجواء الحركة والمطاردات التى تملأ الشاشة. ولهذا السبب، فشل فى مصر أكثر الأفلام التى تنتمى إلى التخيل العلمى ، مثلما فشل تجارياً أفلام من طراز " ٢٠٠١ أوديسا الفضاء" فى الستينيات من القرن الماضى، وقد شهدت السبعينيات كلاً من هذه الأفلام قد فشل الجاد منها، عندما عرضت فى بلادنا، مثل: "طريق الملاعين"، و"كرة الانزلاق"، و"حرب النجوم"، و"هروب لوجان"، وأيضا فيلم "لقاءات قريبة من النوع الثالث" لستيفن سبيلبرج .

نحن أمام فيلم عن ظاهرة مهمة، هى الأطباق الطائرة أو كما تسمى علمياً ببعض اللغات الأوربية "الأشياء الطائرة المجهولة الهوية" هذا الموضوع محل نقاش دائم بين العلماء، وأيضًا موضوع للإبداع لدى الادباء والفنانين؛ فقد اهتمت به الدوائر العلمية واختلفت فيه الآراء. ولكن معظم هذه الاراء أجمعت أن هناك عوالم أخرى، غير عالمنا تعيش فيه مخلوقات أخرى، تحاول التعرف على ما يحدث فى كوكب الارض، وكم صدر من كتب حول هذه الظواهر بمختلف لغات العالم. تدافع عنها وعن اتصال أهل الأرض بكائنات أخرى.. ومن بين هذه الكتب "الحلقة الزرقاء"، الذى يؤكد وجود اتصال فعلى بين سكان الأرض ومخلوقات أخرى فى الكون الذى يحيطنا..

ويقول الدكتور البرت ديكردك، مؤلف الكتاب، إن هناك أجهزة رصدت إشارات تصدرها كائنات حية وهناك نوعان من هذه الصور: البطاقة السياحية التى صورة لإنسان أو حيوان ، أما النوع الثانى فهى إشارات رمزية، وهى التى

يذاع استخدامها الآن.. ونحن لا نريد الأسباب لتأكد وجود هذه الكائنات لكن السينما اهتمت بتجسيد التخيل البشرى للتكهن بهوية هذه الكائنات، فهناك عشرات الأفلام، التى تناقش ظاهرة غزو الكائنات من عوالم أخرى للارض، هذه المخلوقات فى أغلب الأحوال شريرة، تأتى للارض لتنشر فيها الخراب، وقد تكون أقرب فى أشكالها بالبشر، لهم أشكال بشعة جسدتها أفلام عديدة "حروب العوالم ١٩٥٣"، و"الشيطانة التى جاءت من المريخ ١٩٥٤"، و" وحش الفضاء" لريدلى سكوت عام ١٩٧٩ و "هجوم المريخ" لتيم بيرتون عام ١٩٩٤، و "يوم الاستقلال" عام ١٩٩٧.. أو قد تكون شخصيات رقيقة طيبة مثل جيرى لويس فى "زائرون من الفضاء".. و"سوبرمان" الذى تم تنفيذه عديد من المرات.

يرحل البروفيسور لاكومب " فرانسوا تريفو" من مكان لآخر؛ كى يتأكد من النظرية العلمية التى يحاول إثباتها؛ ففى المكسيك تهتدى بعثته العلمية إلى العثور على سرب من

طائرات السلاح الأمريكى، اختفى قبل ثلاثين عاماً فى ظروف غامضة، وعندما فحصوا هذه الطائرات وجدوا أن الخزانات مليئة بالوقود، وأن المحركات تدور بالضغط على مفاتيحها، إذاً الطيارون لم يقتلوا وإنما اختفوا، يقول هندى عجوز بأنهم ذهبوا إلى السماء.

فى الهند تواصل البعثة دراستها، فهناك قبيلة يترنم أفرادها بنغمات غريبة على الآذان، كأنها قادمة من عالم آخر، يقول قائد الجماعة إن مصدر الإشارات تأتى من أعلى، فى معمله يسجل لاكومب اشارات صوتية. وعندما يحولها إلى إشارات بالأيدى تصبح أشبه بما كان يفعله الهنود، وفى الولايات المتحدة تحدث أيضًا أشياء أخرى غريبة، يستيقظ الطفل بارى على صوت موسيقى بدأت تحرك كل الأشياء فى منزله. القطار يتحرك من تلقاء نفسه، القرد الآلى يرقص دون أن يحركه أحد، علب المياه الغازية تنفتح وحدها. ويخرج بارى الى الطريق، وكأن شيئا يشده لرؤيته، وعندما تخرج أمه جيليان للبحث عنه يسود المدينة ظلام غير معروف المصدر، يتصل المسؤلون بالخبير

روى "ريتشارد دريفوس" كى يصلح العطل، وعندما يستقل سيارته متجها إلى مكان العطل، يرى حدوث أشياء غريبة فى الطريق المظلم ، أشياء ثقيلة إلى جواره تتحرك كأن قوى قد تحركها.. أضواء تملأ المكان.. أجسام مضيئة تعبر السماء بسرعة، وسيارات الشرطة تفشل فى اللحاق بها. وبعد هذه المطاردات، تعود الأضواء من تلقاء نفسها كما انقطعن فجاءة.

كل من شاهد هذه الاجسام المضيئة يصبغ جزءاً من وجهه بلون قرمزى كأنه نام تحت أشعة الشمس مدة طويلة. جيليان وابنها وروى الذى يبدو غريب السلوك بعد الحادث، تتعرض الأم لموقف آخر اكثر إثارة، عندما تحيط بمنزلها من جديد ظواهر غريبة.. ضوء قرمزى قوى فى أثناء الليل . ومسامير البالوعة تنزع. أشياء تحرك المنزل يميناً ويساراً، ثم يختفى الطفل من أحد الأبواب وكأن يدا قوية شدته، وتصبح الأم، بعد هذا الحادث، شبه منجذبة لكيان لا تعرفه . فهى ترسم بلا إرادة صورًا لجبل ذى قمة مسطحة، روى يجمع الطين من حديقته؛ كى يجسد جبلًا مشابهًا داخل منزله، بعد

أن هجرته زوجته لسلوكه الغريب.. وفجأة يرى فى التلفزيون جبلا مشابهاً من خلف المذيع، الذى يعلن أن مدينة ويومنج- القريبة من الجبل – قد هوت فيها طائرة تحمل شحنة من الغازات الخانقة، وان السلطات أصدرت أمرا باخلاء المنطقة.

يسافر روى إلى ويومنج، ويلتقى بجيليان التى جاءت تبحث عن ابنها، ويقرران معًا الصعود الى الجبل وسط معارضة رجال الشرطة التى تنثر الغاز المخدر لابعاد الناس عن الجبل، وينجح الاثنان فى الصعود إلى قمة الجبل هرباً من الشرطة، ويبلغان القمة ليلاً، ويريان أشياء غريبة .

فهناك محطة فضاء أرضية كبيرة، تتصل بكائنات أخرى عن طريق إشارات صوتيه ونغمات موسيقية أشبه بما سمعه لاكومب فى الهند. هذه النغمات هى وسيلة التفاهم من ساكنى هذه الأجسام، التى تقترب من قمة الجبل.. الأضواء تشع منها بشكل يبهر الأنظار، وتحط الأجسام فوق الطائرات التى اختفت فى الحرب العالمية، والطفل بارى، تنزل من الطبق الطائر كائنات صغيرة، بها بعض ملامح البشر. الرأس

المستديرة الصلعاء، الأجسام الآدمية، والعيون الواسعة لايمكن تحديد هوية هذه الكائنات، تتبادل التحيات مع لاكومب.. تصعد إلى السفينة مجموعة جديدة من العلماء؛ كى يذهبوا لزيارة عالم آخر بعيد عن كرتنا الأرضية، تغرى هذه الكائنات روى فيصعد معهم، وبعد تبادل التحيات ترتفع الأجسام المجهولة الهوية نحو السماء.. تشق العنان، صاعدة إلى عوالم مجهولة تماماً، وربما سنكتشف هويتها ذات يوم، فتصبح أشياء طائرة معروفة الهواء، وسوف يأتى يوم من هذا العالم شخص غامض، بعد سنوات اسمه E.T.

يقول سبيلبرج : ولدت عام ١٩٤٧.. فى نفس العام، الذى ابتكر فيه كيرت ارنولد مصطلح "أطباق طائرة". وبعد عشرين عاما من هذا التاريخ، لم أكن أصدق زملائى ممن يشاهدون طبقاً طائرا. وقبل أن أكتب فيلمى، كنت أشك فى صحة هذا الموضوع؛ فبدأت أقرأ كل الكتب التى تناولت الموضوع.. كنت أكثر جنونًا وجدية، وقابلت الكثير من شهود العيان والعلماء والمرشدين، ومنهم الدكتور هاينك أكبر خبراء

الفضاء فى العالم، ثم أيقنت أن هناك بعض الظواهر تظل غير قابلة للتفسير. وبدأت أقتنع بأن الأطباق الطائرة التى يقودها الرجال ذوو البشرة الزرقاء سوف ترسو يوماً فوق كوكبنا . وهذا ما اتمناه".

يناقش سبيلبرج هنا ظاهرة هذه الاجسام بأسلوب علمى؛ فهى لا تنزل فى أماكن محددة من العالم، مثلما تدعى بعض الكتب أنها أدوات للتجسس، فهى تنتشر فى كل أنحاء البسيطة، وتدور أحداث الفيلم خلال عام ١٩٧٧، وهو العام الذى انتشرت فيه هذه الظاهرة، ولاكومب هو عالم فرنسى يجوب العالم؛ للبحث عن أصل هذه الظاهرة.

وقد اختار المخرج نماذج قليلة من البشر، يتعرض من خلالها لموضوع الاطباق الطائرة: مهندس الكهرباء الذى تعترضه الكائنات فى الطريق، وجيليان التى تعانى من ابنها لارى، الذى يجرى دائماً وراء أشياء تهتف داخله، وتذهب به بعيداً: هاتان الشخصيتان كافيتان للدخول إلى موضوع الفيلم؛ حتى لايتشتت المتفرج داخل شخصيات عديدة؛

خاصة أن الفيلم قد اهتم بالجوانب الاجتماعية لكل منهما ، مثل موقف الزوجة من روى، ومعاناة جيليان من ابنها الشارد، وقد أصبح الاثنان بمثابة الخط، الذى يربط الأحداث ببعضها؛ فهما شاهدا عيان من الأجسام المضيئة ليلاً، وهما اللذان يقرران الصعود معاً إلى قمة الجبل، تدفع كل منهما رغبة قوية لاقتحام المجهول، وإذا كانت معرفة سر هذه الظواهر المجهولة تظل غامضة حتى بعد خروجنا من الصالة؛ فنحن نعرف أن هناك كائنات أخرى تسكن الكون، وأنها ذات شكل محدد، وأن هناك وسيلة للتفاهم مع هذه الكائنات.. ولكننا لا نعرف هويتها.

ولا إلى أين تذهب، ولماذا تأتى إلى الأرض أصلاً، والمخرج بذلك إنما يلتزم بما وصل اليه العلم فى هذه المرحلة، ولا يريد أن يشطح كثيراً داخل هذا الموضوع الغامض المعقد، وهو يؤكد أن الموسيقى ستكون لغة التفاهم الكونية، مثلما هى لغة تفاهم عالمية..

- حروب النجوم (١٩٧٧)

Star wars

هل يكفى الإبهار وحده فى أن يشدنا إلى المقاعد لرؤية الأفلام؟

هذا السؤال يلح على المرء، منذ أن شاهدنا فيلم "حروب النجوم" الأول عام ١٩٧٧، إخراج جورج لوكاس، وسط حملة إعلامية دعائية ضخمة عن الفيلم، فكانت الصدمة الأولى بين ما يتردد عن أهمية فيلم والذوق الشخصى للمتفرج العربى، الذى لا تجئ هذه الأفلام فى مقدمة اهتماماته.

بدت العين منبهرة بتلك التقنيات، وهذه المخلوقات الآلية (الروبوتات)، ولكن القصة البسيطة بدت شديدة السذاجة، حول حروب بين كواكب المجرات البعيدة، يحاول من خلالها شرير غامض، يدعى فارد السيطرة على المجرة، ويسعى اثنان من المغامرين لمساندة الأميرة "ليا"، والتنافس على قلبها.

لعبت التقنيات هذه، دورها فى إبهار المتفرج، ولكنها لم تنجح فى أن تجعلنا أمام فيلم لا ينسى، والغريب أن أرقام عوائد الفيلم عالمياً كانت كبيرة للغاية، وفى تلك الآونة، راحت عشرات المجلات والصحف العالمية تشيد بالفيلم وتشدد على أهميته.

لقد كان السؤال : هل هناك سقم واضح فى الذوق العام، وهل الفيلم بالفعل قطعة فنية ساحرة، وأن الذوق الخاص لم يستطيع التواءم مع الفيلم؟ .. أم أن أهمية الفيلم تأتى من قدرة العلم الجديد على صنع كل هذه التقنيات السينمائية، المبهرة من آليات ، وأجواء، ومطاردات فضائية؟ .. لقد احتفلت مجلة (برومير) الفرنسية بقوة الفيلم الخامس من هذه السلسلة، الذى يحمل اسم "هجوم المستنسخين" من اخراج لوكاس أيضًا، مثلما حدث بالضبط فى كافة مجلات الدنيا عام ١٩٩٧، وهى تحتفل بعودة لوكاس للاخراج من خلال فيلمه " تهديد الشبح"، ضمن ثنائيته الثانية، التى أخرجها مع نهاية القرن العشرين حول "حرب النجوم". فى اللحظات الأولى من

الفيلم كان الإبهار، وسرعان ما تم اكتشاف أننا أمام فيلم مصنوع لأبهار الاطفال، وأنه قد خلا حتى من قصة الحب المدهشة التى حدثت بين الأميرة ليا، وبين المغامرين، اللذين كان أحدهما سكاى واكر بطل الفيلم الجديد، وجاء الإحساس لدى المتفرج المحترف أننا لا نشاهد فيلمًا حقيقيًّا، قدر ما نحن أمام مجموعة من ألعاب الفيديو المتقنة الصنع.

إذًا.. على مدى ربع قرن، فإن الذوق لم يتغير، وطوال هذه السنوات لم تنجح الدعاية الباهظة التكاليف أن تجعلنا نميل إلى أفلام خالية المعنى فيما يتعلق بأحداث السداسية، التى كان الجزء الثالث منها هو الأكثر أهمية، والذى أخرجه ارفين كيرشنر عام ١٩٨١ باسم "عودة الجيداى"، والجيداى هو اسم لمحاربين لا يعرفون الحب ولا الكراهية، ودورهم فى الحياة هو الحرب من أجل المبدأ، وهؤلاء الجيداى هم أبطال القسم الثانى من السلسلة، التى تعود فيها الأحداث إلى ثلاثين عاما قبل الثلاثية الأولى.

تفرغ جورج لوكاس مخرج هذه الأفلام، عدا "عودة

الجيداى" تماما لهذه السلسلة، منتجاً، ومؤلفاً، ومخرجاً، وله باع طيب فى صفحات السينما، لكن الغريب أن الفيلم الأجود فى هذه السلسلة كان من اخراج مخرج آخر هو كيرشنر الذى ابتدع الشخصيات التى تكرر ظهورها فى القسم الثانى، خاصة زعيم الجيداى القصير، الحكيم الغريب الشكل.

وأهم ما فى هذه الأفلام، هو القدرة الابتكارية الهائلة، على ابتداع مخلوقات غريبة الشكل، وهى سمة بدأت مع فيلم كيرشنر؛ حيث أن الجزئين الأولين ابتدعا اثنين من الروبوت، تكرر ظهورهما دوما فى كافة الأفلام.. لكن المخلوقات الغريبة الشكل بدأت فى الظهور فى "عودة الجيداى"، وعليه فإن الفيلم الأول من القسم الثانى "تهديد الشبح" امتلأ بعديد من المخلوقات الحية الغريبة لبعض الأشكال، عكس الجزء الثانى من "حروب النجوم" عام ١٩٧٩، الذى امتلأ بعديد من المحاربين الآليين الأشبه بحصان طروادة.

وحسب الفكرة الفلسفية التى طرحها "تهديد الشبح" عام ١٩٩٨م بأن الطفل سكاى واكر، مولود من أم دون زواج

قد أعطى إحساسًا بأن ثمة فكرة عقائدية وراء حروب الاستيلاء على المجرات، وتوقعنا أن يكون لهذا الطفل، حين يصير شابا يحمل اسم اناكين، سلوكا مشابه لأصحاب الرسالات، الذين ولدوا فى ظروف غريبة، وعلى رأسهم السيد المسيح عليه السلام، إلا أن هذا لم يحدث، ولكنه يدل على العلاقة الدائمة بين العلم والعقيدة.

بدا فيلم "هجوم المستنسخين" مهتمًا فى المقام الأول بخلق الإبهار، وخلا من قصة جذابة، وبدأ لوكاس، وهو يستعين بالكتابة بشخص آخر، كأنه ازداد شحوبا، يهتم بالتقنيات والجرافيك، والصور المعقدة المتراكبة، ولكن هذه الأشياء لم تعد تجذب المتفرج المحترف، الذى سبق له أن شاهد الفيلم الألمانى "متروبوليس" إخراج فريتزلانج عام ١٩٢٦ حتى وإن أدى التطور التقنى إلى زيادة الإبهار، ولكنه بمقياس عام ١٩٢٦، وما أنجزه لانج يعتبر بدائيا.

أرقام العائدات من الفيلم، المنشورة فى الصحف، عن الأيام الأولى للعرض فى المدن الأمريكية، وفى أوربا تدفع للسؤال: هل يعنى هذا أننا أمام فيلم ممتع؟

ليس أمام الناقد سوى ان ينحنى لتلك التكنولوجيا، التى صنعت كافة الصور المبهرة، الأقرب إلى ما تشاهده فى أفلام المجسمات 3D ، ولكن على سبيل المثال.. فإن كافة هذه المخلوقات الحية، المبتكرة ذهبت إلى دائرة النسيان قياسًا إلى ما تركته الذاكرة من خلال شخصية "آى تى" لسبيلبرج، الذى أمكنه أن يكون أفضل من رفيقه لوكاس. ماعدا "تهديد الشبح".

فى فيلم "هجوم المستنسخين" رأينا شابًا وسيمًا، هو "أناكين" تلميذ جديد فى عالم الجيداى، الذى عليه الا يعرف الحب والكراهية، ومطلوب منه أن يحمى الملكة السابقة آميدالا، بعد أن صارت سيناتور، تحمل اسم بادميه، من أعدائها، إذًا فهناك فى كل هذه الأفلام ملكة، أو امرأة فى حاجة إلى حماية رجل من الفرسان، والرجل هنا من الجيداى، تعلم على يد شخص آخر من نفس الفصيلة يدعى "كنوبى".

وعلى طريقة القصة التقليدية، فإن هناك صراعًا حول الممالك، وأشياء غير مفهومة، وهناك مبارزات، ومناوشات..

ورغم ذلك، فإننا لن نرى فى هذا الفيلم أى هجوم للاستنساخ، ويبدو السيناريو كأنه يخبرك بكل وضوح أنك أمام فيلم ناقص، وأن الرؤية لن تكتمل إلا بمشاهدة الجزء الثالث؛ حيث سيقوم المستنسخون بالهجوم . ويعكس هذا إلى أى حد ليست كل أفلام التخيل العلمى جذابة، مهما كانت مبهرة، ومهما أخرجها مخرجون من طراز لوكاس، الذى بدأ عام ٢٠١٢ فى أعداد الثلاثية الثانية من هذه الأفلام على طريقة الثلاثية الأبعاد، ووسط هذا يبدو الفيلم كأنه يستجمع ثلاثة من الأفلام السابقة، مثل: الصراع بسيوف الليزر، ثم الاستفادة من نجاح "المصارع" بأن نرى صراع المستقبل أشبه بما كان يدور فى الحلبات الرومانية سابقا، مخلوقات غريبة أقرب الى الخرتيت تهاجم، ولا نعرف أ هى مع البطل أو ضده، وجمهور من المجرة، يهتف ، وتبدو الحلبة كأنها تضم مئات الألوف من الجمهور، الذى لا نعرف مع من هو، هل هو مع الحاكم الظالم، أم مع أناكين ومجموعته الصغيرة؟

وقد قسم الفيلم قصصه إلى عدة أفرع، فبدا كأنه عدة

أفلام داخل قصة واحدة، وبدت شخصية كنوبى بغير ذات أهمية، ويتردد السؤال حول جدواها؛ لذا فإن الفيلم اهتم بتنامى مشاعر الحب التى بين "يادمة" وحارسها، على طريقة البودى جارد، باعتبار أنها قصة ممنوعة؛ فليس من واجب الحارس أن يقع فى غرام السيناتور، ومع هذا تنامت مشاعر العاطفة بين الاثنين، دون أن نرى نتيجة ذلك الا فى لقاء سريع، حين سقطت السيناتور من المركبة، فقال كنوبى إن الأمور الشخصية يجب عدم الالتفات اليها، باعتبار أن الانتصار فى المعركة أهم من إنقاذ الحبيبة التى سقطت سهوا..

وقد حاول الفيلم ان يعطى لابطاله بعض المشاعر الإنسانية، ولكنها صنعت بشكل بدائى، وكأننا فى أفلام يتعلم من خلالها المرء الكتابة، مثل رحلة "آناكين" للبحث عن أمه، وينتقل بين أطراف المجرة، ويلتقى بالمتاعب، والأشخاص ويجد أمه مقيدة فى الأحبال والتى ما ان تراه حتى تموت بشكل مفاجئ، مولدة للدهشة والاستغراب، وبدت العواطف هنا مبتسرة، غير مبررة، فضلًا عن أن المتفرج لهذا الفيلم، لا يمكن

أن ينفصل عن الاحداث التى شاهدها فى الفيلم الأول؛ أى إن السيناريو هنا متواصل مع الجزء الأول .

من المهم الإشارة إلى أن الثلاثية الجديدة، ترجع إلى ما قبل سنوات من الثلاثية الأولى، ونفهم أن السيناتور بادميه ستكون الأم للملكة ليا بطلة الثلاثية الأولى، وأن سكاى ووكر ليس سوى مغامر عليه أن يحب الملكة، وهى قصص لاتستحق ان نتابعها بالشغف نفسه الذى نتابع به قصص أفلام التخيل العلمى والفانتازيا.

وإذا عدنا لشخصية آناكين، فسوف تكتشف أنه يختلف تمامًا من حيث معناه الفكرى عن الطفل، الذى ولد من أم لم يضاجعها رجل، إذًا فلو رأينا أنه ذو مغزى عقائدى، فهو صاحب رسالة ، وليس مجرد حارس، أو مغامر، كما سنراه فى كافة أفلام السلسلة، وأنه لا يجيد سوى المبارزة.

ويبدو أن لوكاس قرر ان يمرق من الرؤية العقائدية بهذه الشخصية، عما أوحى به فى الفيلم الأول؛ فالأم هنا امرأة عجوز، وليست عذراء، وقد تزوجت من رجل آخر واهن

العظام، ويعانى من الشكل الجسمانى، وأنجبت منه ابناء آخرين، أى إن لوكاس تعمد ان يبعد كافة الافكار التى طرحها فى القسم الأول من الثلاثية الثانية.

من الواضح أن لوكاس حبس نفسه فى هذا العالم، وأنه قرر أن يكرس حياته؛ من أجل المتصارعين على العروش فى مجرة بعيدة، غير مسماة، وذلك رغم أن هذا النوع من الأفلام لم يعد يحتاج إلى مخرج، بقدر حاجته الى مصممي جرافيك من الطراز الأول؛ أى إن أهمية هذه السلاسل من الأفلام تأتى من قدرتها على ابتكار وسائل جديدة فى تحريك آليات عملاقة وصور جديدة أغلبها أقرب إلى ألعاب الفيديو.

الذين حضروا العرض الخاص لهذا الفيلم من النقاد، رددوا فيما بينهم، فى سخرية شديدة، أن هذا النوع من الأفلام مخصص للاطفال، وأتفقوا أن على السينما الأمريكية أن توجه الجرافيك، وإمكاناته الهائلة إلى شىء أفضل، لأنه يبدو هنا فاقد الروح.

وحش الفضاء (١٩٨٠)

Alien

فى الستينيات من القرن العشرين، عرض في مصر فيلم تحت عنوان "غزاة من المستقبل" أو "سليم الأخضر" .. وهو من أفلام التخيل العلمى.. يروى قصة سفينة نزلت إلى كوكب غريب، والتقطت عن طريق المصادفة أحد الكائنات المجهولة، التي تصبح وحشاً كاسراً عند نقلها إلى السفينة؛ خاصة أنها تتنامى عندما تتعرض للنيران، التي تعتبر بمثابة مولد للطاقة له. وانتشر سليم الأخضر في السفينة، واتى على كل من فيها إلى أن استطاعت عاملة السفينة أن تدمره تماماً .. هذا الفيلم كان من إخراج البريطانى كنجى فوكا ساكو، وقد عرض لأيام قليلة في مصر، ثم عاد بعدها إلى بلاده، ولم نعد نسمع عنه شيئاً في عالم التخيل العلمى. وفى أواخر السبعينيات من القرن نفسه، اقتبس المخرج البريطانى ريدلى سكوت الفكرة نفسها. واعاد تقديمها في فيلم اكثر تكلفة، وأكثر إشارة ونجاحاً، عرض تجاريًّا في مصر تحت عنوان

"وحش الفضاء"..، أما اسمه الأجنبى فهو Alien ، ما لبثت السينما أن حولته إلى أكثر من فيلم في العقود التالية.

نحن في زمن بعيد، لا نعرف تاريخه، أما المكان فهو أكثر عرضاً، كل ما نعرفه أن الزمن هو المستقبل البعيد، أنه العصر الذى سوف يتمكن العلماء فيه من عمل ما يسمى بالبيات الشتوى بالنسبة للإنسان، ومن غزو مجرات بعيدة غير مجرتنا، فهناك في مكان بعيد عن مجموعتنا الشمسية تجوب السفينة نوسترومو الفضاء عائدة إلى الأرض، إنها السفينة الفضائية أقرب أن تكون إلى مدينة، تزن عشرين مليون طنًّا. كانت في رحلة علمية لا نعرف تفصيلها، يتحكم في إدارتها عقل إليكترونى هائل، يعرف باسم "الأم"، هذا العقل يتحدث ويحس ويسيطر على الجميع، مثلما فعل العقل الإلكترونى هال في فيلم "٢٠٠١ أوديسا الفضاء" ، يقوم بالتبليغ عن الأعطال في السفينة، ويلتقط إشارات الانذار بعد الاستغاثة، ويعرف كافة الحلول، لكنه لا يبلغها إلى طاقم السفينة، الذى كان في سبات طويل، إلا إذا شاء هو.

وعندما يطال السفينة بعض العطب، فإنه يهبط بها إلى أحد الكواكب الغامضة القريبة المعتمة وينزل منها ثلاثة من راكبيها؛ كى يأتوا بثروة حسبما يتمنى أحدهم. وفى طريقهم يشاهدون جسماً غريباً أشبه بسفينة فضاء؛ فيتوغلون داخلها لعلهم يكتشفون شيئاً غامضاً.. يرون آثار عظام أدمية، كأن أمراً بشعاً حل بها، وفجأة يرى أحدهم شكلاً غريباً أقرب إلى البيضة تعلوها أجسام هلامية، وعندما يقترب منها محاولًا فحصها، تندفع بسرعة هائلة إلى وجهه مخترقة القناع الواقى، وتلتصق به.

في السفينة، يجرى الملاحون أبحاثهم على زميلهم.. لقد التصق الجسم الغريب بالوجه، إنه لم يقتله بعد، فهو يمده بالأكسجين كى يظل حيًّا. وعندما يحاول تمزيق الجسم الغريب، ينسال منه سائل ناري يتلف أرضية المعمل. وبعد قليل، يجد العلماء أن هذا الغريب قد ترك وجه زميلهم الذى بدأ يعود إلى حالته الطبيعية، ولكن هذا الحال لا يدوم، فهو يتقيؤ أثناء تناول الجميع وجبة الطعام، ثم تتفجر الدماء فجأة

من بطنه ويخرج منها حيوان صغير الحجم، ينظر إلى من حوله في جرأة، ووحشية، ويجرى تاركاً الجميع، وقد تملكهم الخوف والدهشة.

ومن هنا يبدأ صراع جديد بين الغريب وعلماء السفينة الفضائية، نوسترومو، وهو اسم أحدى روايات الكاتب جوزيف كونراد، وصراع آخر بين بعض هؤلاء الملاحين.. لقد بدأ الغريب يطاردهم واحداً وراء الآخر، فيهاجم ضحيته على حين غفلة ويأتى عليها، الرئيس العلمي للسفينة؛؛ يبدو غريب السلوك. فهو الذى طلب الاحتفاظ بالغريب في أول أطواره كي يتمكن من فحصه ودراسته، وهو يهاجم الدكتورة ريبلى ويضربها عندما بدأت الارتياب فيه، والتى تكتشف عندما يصطدم بالحائط، وتنفصل رأسه عن جسده، انه روبوت، وعندما يعيدون أسلاك آش إلى وضعها الطبيعى تتكلم رأسه قائله الغريب جسم منال؛ فهو قادر على الحياة والاستمرار، وأنه ليس له ضمير يندم به، أو أخلاق تفسر عليه سلوكه.. وهو سيعيش أبداً.. ومن هنا سيتضح أن

الغريب أشبه بـ "سليم" الذى لا يموت "، أما "آش" فهو روبوت صنعته إحدى الشركات التي قامت ببناء نوسترمو، تأتى بأشياء غريبة من الفضاء، ويمكن بواسطتها التحكم في الأرض واستغلالها في حروب العوالم.

وبعد أن تتخلص ريبلى من منافسها الأول، تبدأ في إدارة السفينة، إلا أن الغريب يستكمل افتراس الباقين، واحداً وراء الأخر، وتنكر أن عليها أن تغادر السفينة، وأن الكبسولة الصغيرة، تبتعد عن بؤرة الخطر، بعد أن تكون قد أعدت نوسترومو للتدمير، فتركب الكبسولة، وتنفصل عن السفينة، التي تنفجر حاملة داخلها ذلك الكائن الغريب.

لكن هذا الغريب كان هناك، ملتصقاً بالجدار الخارجي للكبسولة، وهو من جديد يحاول أن يهاجم ضحيته الأخيرة ريبلى، التي تستطيع الانتصار عليه وقتله بقوة الطرد المركزية.

وصف بعض النقاد أن هذا الفيلم، هو أول فيلم رعب من أفلام التخيل العلمى، متناسيين أفلامًا عن "فرانكنشتاين" .. ومنهم الناقد الفرنسى روبير بنايون، لكن المتتبع لأفلام

التخيل العلمى يجد أن أكثرها قائم على عامل اثارة الرعب بين صفوف المتفرجين، عن طريق ابتكار مخلوقات متوحشة من الفضاء الخارجى، وتعيث في الأرض فساداً .. وفيلم "سليم الأخضر" هو أحد هذه الأعمال.

وعند المقارنة بين هذين الفيلمين، سنجد أن هناك تقارباً شديداً بينهما؛ فالشخصية الرئيسية هنا هو أحد الكائنات الحية، التي تظل بعيدة عن الأنظار طوال الأحداث، ولانعرف مكانها، ومع ذلك فهى تبعث الخوف في قلوب المتفرجين. ونحس بها في كل مكان، أكثر من إحساسنا بأشياء نراها أمام أعيننا.

هذا المخلوق أشبه بالأقدار التي تنتظرنا، وتطيح بنا، وكما يقول الدكتور "آش" .. مخلوق مثالي لا ضمير له، ولا إحساس ولا أوهام. يعيش أبداً أو يكمن حتى يجد فرصة أخرى جديدة للتحول أو افتراس فريسة جديدة؛ لأنه قد قتل من قبل سكان، استطاعت أن تتخلص من شروره بإلقائه في الفضاء الواسع، وهو يستطيع أن يتقوقع في هذا الفضاء

الفسيح إلى أن يعثر على مركب فضاء جديدة؛ كي يمتص دماء من فيها، طالما أنه كائن لا يموت، وهو أيضاً شبيه بسليم في أنهما لا يعرفان الفناء..

وفيلم "وحش الفضاء" أو "الغريب الفضائي".. يحتوى الكثير من صور التخيل العلمى.. الروبوت الذي صنعته إحدى الشركات؛ كي يتمكن من تسيير السفينة "نوسترومو" كما تشاء هى، عملية البيات الشتوى الإنسانى؛ حيث يستطيع الإنسان أن ينام سنوات عديدة في قبو علمى، دون أن يحدث عليه تغييرات فسيولوجية تذكر، مثلما حدث في فيلم "كوكب القرود" عام ١٩٦٨. في الفيلم هناك الأجهزة العلمية الضخمة والعقول الإليكترونية، التي تتعلم المراوغة، وتحاول أن تتحكم في البشر كما يفعل الروبوت، والرحلات الفضائية التي تستمر لسنوات طويلة دون نهاية. الكائنات الأبدية الحية التي تعيش في الكون الخارجي، ومهما تطور العلم بالإنسان، ومهما تعرض لأخطار من هذا النوع، فالبشر هم البشر، يحبون، يكرهون، ويتطفلون، ويحبون جمع المال، ولديهم فضولهم وطموحهم ويتنافسون ويسعون إلى امتلاك الكون

الذى يحيط بنا فهناك صراع خفى داخل السفينة بين أفراد طاقمها . يشتد هذا الصراع عندما يحين الخطر حول الجميع . ويبدأون في التكاتف أمام الخطر الذي يأتي عليهم تباعاً.. في مكان مغلق من الصعب الهروب منه، والظلام في الخارج أشد قسوة مما يحيط بهم داخل نوسترومو. وفى النهاية فإن الإنسان لن يمنع نفسه من الصعود إلى هذه العوالم؛ كى يقابل غريباً جديداً، ويشبع فضوله وتخيله العلمي الذي لا حدود له.

هذا الصراع علمي، بين الإنسان والمجهول. وقد أجاد ريدلى سكوت صنع الإثارة، فهو لا يجعلك ترى العدو القادم إليك من حولك؛ فيشعر المتفرج بالخوف، ويرى البشاعة تحوط به، ويصيح المتفرج كأنه واحد من أفراد نوسترومو، التي حلت بها اللعنة، ولكن مع ذلك يعرف مصير الضحية التي عليها الدور، والمخرج يطيل الفترة التي تسبق افتراس الضحية؛ حتى يزيد من الإحساس بالخوف.. ويتحدث سكوت عن فيلمه : لم أكن أحب أفلام التخيل العلمي، قبل أن أخرج "الغريب" .. بسبب تربيتي البيورتانية

والبروجوازية، ولم أجرو قط على مشاهدة فيلم عن الوحوش، التي كانت تسود أفلام الخمسينيات، فهذه الأشياء كانت تقلب لي رأسي .. ولكنه صار عاشقاً لهذا النوع من الأفلام، وقدم في هذا المجال علامات مميزة.

obeikandl.com

- الغيبوبة (١٩٨٠)

Coma

فى فيلم مايكل كرايتون الأول " عالم الغرب"، رأينا كيف تمرد الروبوت على صانعه، ويحاول أن يطلق عليه الرصاص فى أول فيلم من نوعه، يمزج بين التخيل العلمى وأفلام الغرب.. وفى فيلمه التالى "الغيبوبة" Coma يدخل المخرج إلى العالم نفسه الذى يحبه ، بيع أجساد البشر الذين ينامون فى سبات أبدى إلى الأثرياء من المرضى فى جميع أنحاء العالم

ومثلما اختار الغرب مجالا لفيلمه الأول ويملأه بالحركة والإثارة، فإنه يجعل فيلمه الثانى يعتمد على الحركة أكثر، فنحن أمام طبيبة تبدو غريبة الطباع، حسبما يراها زوجها " لماذا نتناقش دائما وأنت عارية، أنت فى حاجة إلى الراحة" وهى تتعلق بعملها كمحاضرة وجراحة مبتدئة فى مستشفى بوسطن، التى تعتبر أحسن مستشفى فى الولايات المتحدة كلها. حسبما يقول الدكتور هاريس المدير العام. وهذه المستشفى عالم غريب، وكئيب مثل كل مستشفيات الدنيا،

ولكن ما يتم هنا أكثر غرابة؛ فقد لاحظت الطبيبة الشابة أن بعض العمليات البسيطة التى يموت أصحابها ، أو يتم نقلهم إلى حالة الغيبوبة الدائمة. وقد أثارت العملية التقليدية، كتوسيع الرحم التى أجريت لصديقتها جوتيلى، وانتقلت على آثرها لحالة الغيبوبة انتباهها، حيث تدخل على إثر هذه العملية حالة من السبات الدائم إثر خلل فى المخ.

مما يثير الطبيبة أكثر أن اسم الطبيب المعالج ليس مكتوبًا على التذكرة، التى يدون بها رقم المريض .. تحدث زوجها حول هذا الأمر فيخبرها أنها مرهقة، وتحتاج إلى راحة. الدكتور هاريس يردد الشىء نفسه، العمليات تجرى واحدة وراء الأخرى . ويتكرر الحدث نفسه لمريض آخر جاء بهدف اجراء عملية بسيطة فى ساقه.

عندما تلتقى بالدكتور جورج رئيس قسم التخدير يرفض التعليق ، تلقى نظرة على تذاكر المرضى الذين راحوا فى سبات دائم.. ويزداد فضولها، عندما تعرف أن صديقتها قد نقلت إلى مكان آخر وتعرف عن طريق أحد زملائها أن غاز

أول أكسيد الكربون يستخدم فى التخدير، وهو غاز سام.. يقول الطبيب إن استعمال هذا الغاز يعد بمثابة جريمة قتل، عندما لا تجد الدكتورة سوزان من يسمعها تنهال غاضبة بالركل واللطمات على سيارتها، تلاحظ أن شخصًا يرقبها ويطاردها من مكان لآخر، عندما تحادث زوجها الدكتور مارك، يتظاهر أنه مقتنع بما قالته، يأخذها ليقضيا معا عطلة نهاية الأسبوع ، تبدو فيها سعيدة ورقيقة. ولكنها لا تنسى زيارة ذلك المكان الغريب المسمى بمعهد "جاكسون"، فهو مكان.. حسبما تقول مشرفته، ليس به مشرفين ولا أطباء، وأن الزيارة ممنوعة، وعندما تعود إلى بوسطن، يحدثها أحد العمال أنه سيخبرها بحقيقة مهمة، لكن هذا العامل يقتل صعقاً، وتكتشف الطبيبة أن هناك ماسورة رقيقة، تمتد من جهاز أول أكسيد الكربون، وتصعد ثم تنحنى، حتى تصل إلى غرفة العمليات رقم ١٠٠٨، المكان نفسه الذى يخرج منه المرضى فى حالات سبات دائم، ومن هنا تبدأ مطاردة فيطاردها نفس الشخص الذى قتل العامل، داخل العنابر، وغرف العمليات وقاعات المحاضرات والمشرحة.

بعد أن تروى لزوجها عم حدث، تسمعه يخابر شخصًا غريبًا حديثاً غامضاً فتترك المنزل وتهرب لتواصل المطاردات من خلال معهد جاكسون الذى زارته.. لقد فهمت أن هناك مؤسسة كبيرة تتاجر فى أجساد الذين تسيطر عليهم غيبوبة. تباع أجزاء هذه القطع الأدمية إلى مرضى من أثرياء العالم، عندما تخبر الدكتور هاريس بهذا يهدئها، ويعطيها شراباً، تسقط مخدرة على أثره، ويتم اجراء عملية جراحية لها.. ولكن الزوج يكون قد فهم.. ودون أى إثارة ينزع أنبوبة الغاز السام.. وبالتالى يحمى زوجته من اللحاق بالجثث الراقدة فى معهد جاكسون..

موضوع الفيلم علمى بحت، ويمكن اعتباره الآن من الأفلام العلمية، وليس من أفلام التخيل العلمى؛ ففى العالم المعاصر يتم الإتجار بالأعضاء البشرية سواء الحية أو الميته حديثاً، بعد نجاح نقل الاعضاء البشرية إلى أجساد أخرى. وقد اتسعت هذه العمليات بعد إنتاج الفيلم؛ مما يعنى أن التخيل العلمى سرعان ما تم تطبيقه فى الواقع.

وإذا كان فيلم "ثوانى" ١٩٦٨، قد ناقش فكرة قريبة من هذه الفكرة، عن طريق تغيير كامل لجسد الإنسان دون تغيير عقله، وإذا كان فيلم "تغيير العقل" قد حكى عن نقل مخ من شخص أبيض إلى شخص زنجى، فإن فيلم "غيبوبة" لكرايتون يناقش الفكرة من جانب آخر، فهو لا يهمه الصراع الفكرى، الذى يدور داخل إنسان طرأ عليه التغيير، ولكن كرايتون يركز أكثر على أجواء العمليات وتفاصيل بعضها؛ ولأنه طبيب سابق فهو يبدو مشغوفًا بهذه الأجواء.. العلاقات بين الأطباء والمرضى والطبيب وزوجته التى تعمل فى المجال نفسه " ليتنى تزوجت ممرضة" وكثيرًا ما يكون الطبيب كريضا مشاكسا. الدكتور جورج مالك المستشفى يتحكم فيه لأنه سوف يرث الملايين من زوجته، التى تتبرع للمؤسسات السياسية.. القلق الذى ينتاب المريض، وهو يقبل على أجواء العمليات حتى لو كانت عملية بسيطة.. النظرية العلمية للتخدير والانتقال الى حالة الغيبوبة.. فكرة الدكتور هاريس حول "بشر أصحاء أفضل" ، الاهتمام

بالجانب الإنسانى للدكتور مارك مقابل الجانب الذى مات فيه هذا الاحساس لدى الدكتور جورج، هموليات التدريس للطلاب أثناء أجواء العمليات الجراحية، وبدا أن كرايتون لم يترك مكانا فى المستشفى إلا ودخله، ولم يخرج من المستشفى إلا فى حالات نادرة، منها خروج الزوجين فى نزهة، وقد اعتبر أن معهد جاكسون هو امتداد للمستشفى؛ فقدم وصفًا تفصيليًّا لأروقته وحجراته والعاملين به.

ومثلما يفعل المخرج دائما فى أفلامه، فإنه يهتم بعنصر الحركة لدرجة كتم الأنفاس، وكرايتون هو روائى ومخرج، ولعلها المرة الوحيدة هنا التى يستعين فيها برواية لكاتب آخر هو جيمس كوك.. هذه الإثارة هى التى جعلت المتفرج يجلس منجذبًا. فوق مقعدة، دون أى ملل وهو يشاهد الطبيبة الرشيقة. تفعل أشياء لا يفعلها سوى عملاء السينما السريين، تتغلب على رجل من أمهر المجرمين. ونحن أمام فيلم نهايته مفتوحة ، فنرى هل تستمر المستشفى فى إجراء عمليات تخدير مماثلة فى المستقبل ، وهل سيظل معهد جاكسون قائماً.. نحن فقط نسمع عبارة من خارج الكادر تردد : نحن فى انتظارك يا

دكتور "هاريس"، دون أن نستطيع تحديد من قال هذه العبارة ولا نعرف اى نوع من الانتظار هو .. هل فى مكتبه، أم فى مكان خاص بالعدالة، أم فى انتظار أن يقوم بإجراء عملية جديدة .

أهمية موضوع هذا الفيلم أنه قد صار واقعاً، وهناك الآن آلاف الأبنية، التى يتم الاحتفاظ فيها بالأجساد الميتة، وهناك جدل دينى حدث فى مصر، حول مسألة التبرع بالأعضاء، إلا أن أهمية فيلم " غيبوبة" تأتى من خلال القتل للاحتفاظ بأجساد، يمتلك أصحابها الصحة والعافية.

الإمبراطورية تعاود الهجوم (١٩٨١)

The Empires strikes back

فى السينما الأمريكية، ليس من العجيب أن تجئ الأجزاء الثانية نسخًا باهتة من الأجزاء الأولى ومحاولة لتكرارها.. إلا أن هناك بعض الأجزاء الثانية، لا تقل روعة عن الأصل مثل فيلم (الأب الروحى) لكوبولا.. أما (الإمبراطورية تعاود الهجوم) لايرفين كيرشنر، فهو بلا شك يفوق الجزء الأول بمراحل عديدة

ولأن أفلام الكوارث أو التقمص قد تقلص إنتاجها، فإن أكثر الأجزاء الثانية التى تظهر حالياً مأخوذة من أفلام تدور موضوعاتها حول التخيل العلمى، هذه الأفلام مصنوعة أساسا لمتعة العين.. فمن خلال إبهار عجيب وآليات ضخمة وتصوير متقن وخدع بالغة التكاليف، يمكن للمرء أن يعيش أكثر من ساعة ونصف، يتفرج على عوالم لن يعيشها قط.. ولذا فإن هذا اللون من الفن قد امتزج بالفنتازيا، التى أصبح من العسير فصلها عن التخيل العلمى.

وصناع هذه الأفلام يسعون إلى خلق التسلية لدى المتفرج وإبعاث المتعة داخله، ويضعون فى أفكارهم أن المتفرج الأول لهذه الأفلام هم من الصغار الذين يشدون معهم الكبار للفرجة، وسوف نجد شخصيات سوبرمان وفلاش جوردن والرجل الوطواط نبعت أساساً فى مجلات الأطفال، قبل أن تجسدها السينما.

وسوف نجد ان الشخصيات المتصارعة فى كل هذه الأعمال هم قوم طيبون يحملون بين جوانبهم قلوبا تحب.. وأن الموت ليس سوى رقاد إنسان فوق الأرض وإغفاءة أعين دون إسالة قطرة واحدة من الدماء .. فهناك أميرة اسمها ليا ذات جدائل، ترتدى ملابس بيضاء ولا تضع أية لون من المكياج، تقع فى أسر قوم من المنافسين (وليس الاشرار). وأن على الشاطر حسن (لوك سكايووكر) أن يقل بساطه السحرى؛ لينقذها من كل ما تتعرض له من أخطار.. وعندما يعجز هذا الشاطر وحده عن حمل مسئولية الإنقاذ، فعلى شاطر آخر يدعى هان سولو أن يستخدم ببساطه بمهارة، أكثر أن ينضم

إليه؛ ليقع الاثنان معا فى غرام الأميرة الرقيقة، التى تسعى إلى إقامة مملكتها العادلة.

وحول هذه الحدوته الأزلية تدور أحداث ثنائية (حروب النجوم)، التى تم تنفيذ الجزء الثالث منها فيما بعد .. وجورج لوكاس يبدأ الجزء الأول من هذه المجموعة بعبارة "وكان ياما كان" فى مجرى بعيد، أساس أن مانراه هو الحلقة الرابعة من حكايات الأميرة . أما ايرفين كيرشنر فيبدأ فيلمه – أو الحلقة الخامسة بعبارة فى زمن مظلم على الثورة. ورغم أن نجم الموت قد دمر جيوش الإمبراطورية القوات الثائرة من مخابئها .. تدور الأحداث فى مكان بعيد جدًا.. ربما فى نفس زماننا أو فى أزمنة تسبقنا.. لكن أبطالنا شخصيات أرضية تماما.. الرجل القرد المنتمى إلى نوع الووكى .. والإنسانان الآليان ديدو وارتو . وحكيم نجم الضباب لودا.

هذه شخصيات بشرية الصفات والسلوك.. أما الشرير الأول فى الفيلمين فادير، فإنه يتوسل باستعطاف إلى لوك سكايووكر ان يتولى معه حكم البلاد .. ونحن لا نعرف هل

هو أبوه فعلا أو أنه يحاول استغلاله لتحقيق مآربه.. ولكنه على كل حال، يستعطف الفتى بطريقة تجعلنا ننسى كل تلك الشرور التى ارتكبها .. هذه الشخصيات الكاريكاتورية، تتسم كل منها بمعالمها المحددة هان سولو يوجز فى عبارة قصيرة قالتها عنه الأميرة (ألا يوجد شىء يصعب عليه فعله؟) سكايو وكرفتى أرعن مندفع دائما وراء نزوة المغامرة.. وهو كثيرًا ما ينجح وكثيرا ما يفشل..

وقد أدت به هذه الرعونه إلى أن يفقد يده، التى أعاد ربطها .. أما ديدو الإنسان الآلى فهو لا يقل عنه رعونه.. يندفع دائما وراء أشياء مجهولة لا يعرف كنيتها مما أدى به أن يفكوه ويلقوا به إلى آتون، قبل أن ينقذه صديقه ووكى.. أما الأميرة، فإن كلا من الشابين يكن حبا بريئا، لأن كلا منهما يحقق لها أملا.. ولأنهما يقفان بجانبها ولا يمكنها الاستغناء عن أيهما.. وهى سلبية بالصورة نفسها، التى نجد أميرات قصص الأطفال .. تنتظر دائما أن يأتيها شاطرها بالنصر . وهى فى فترة ما يمكنها أن تكون سببا لعرقلة النصر على

الرغم من أن هدفها الأول هو أن تتمكن عن طريق رفاقها من مساعدة الثوار فى القضاء على الطغاة، وعلى رأسهم (ارث فادير)، أما لودا فهو حكيم الحدوتة الذى يعلم لوك كيف يفهم سر القوة، التى تتيح له أن يخوض المعركة الأبدية ضد فادير.. وهو يساعده على انتشال سفينته الغارقة من المستنقع، ثم يحذره من تهوره قائلًا بهدوئه الغريب: هكذا الشباب.

والشخصيات التى خلقها لوكاس، فى الجزء الثانى من هذه السلسلة، جعلت الفيلم أكثر ثراء، فبعد معارك بين سفن الفضاء فى الجزء الأول وارتفاع حدة هذه المعارك نرى فيلم كيرشنر يمتلئ بالعديد من الشخصيات، التى نتعاطف معها؛ خاصة أنها كلها تبعث على البهجة.. وهذه الشخصيات تتصارع بأسلحة غريبة الشكل، يبعث بعضها على الضحك أيضا .. وتعيش فى أماكن متفرقة فى صحراء جليدية إلى مدن فخمة للغاية .. إلى كواكب موحشة مليئة بالمستنقعات والطيور الغريبة الشكل .. وسفن فضاء ضخمة الجسم كأنها مدن متحركة .

ولم يجعلنا لوكاس نفتقد شخصيات مثل بن كنوبى، الذى مات على إثر إصابته بسيف الليزر فى الجزء الأول، والذى اعتبر محور تمركز الأحداث، فهو الوحيد الذى يعرف سر القوة التى تمكنه من قهر فادير؛ فبعد وفاته يلتقى لوك سكايووكر، ويطلب منه أن يذهب ليتعلم فن الحرب وسر النضال. ثم يظهر له مرة أخرى قبل رحيله لأفكار الملكة، ويحذره من رعونته بعد أن يبلغه بجزء من المجهول الذى ينتظره .. وهو فى كلتا المرتين أشبه بالملك الراحل الأب حين ظهر لابنه هاملت عند الفجر ينبهه إلى أشياء كثيرة لا يعلمها، وعليه أن يدرب نفسه ليتعلم ويصبح إنسانًا جديدًا.. ولكن شتان بين هاملت ولوك .. فالأول يعرف الكثير ولا يتصرف، أما الثانى فإنه لا يعرف سوى النذير، ويهجم فى الوقت المناسب وغير المناسب.

فمن خلال حدوته بسيطة ومسلية، نعيش هذه "الفنتازية الفضائية"، كما يسميها لوكاس نفسه.. فسكايووكر – الجزء الأول يعيش مع عمه فى منزل بصحراء كوكب تاتويين.. وعن

طريق رسالة من إنسانه الآلى (أرتو)، يكتشف أن هناك أميرة حسناء تستنجد بإنسان يدعى بن كنوبى.. الأميرة تساعد الثوار ضد حكم الديكتاتور تاركين، الذى يسعى للسيطرة على النظام الكونى بأكمله.. لقد قبض جنوده على الأميرة التى أرسلت شفرة إلى كنوبى، الذى يعتبر أعظم المحاربين القدامى كما ينقذها من أسرها .. إنه يعيش فى عزلة انتظارًا للحظة الثأر من الديكتاتور.. ويتولى لوك سكايووكر وكنوبى المقامر هان سولو الذى يمتلك سفينة فضاء حربية عملية إنقاذ الأميرة والتخلص من تاركين.. إلا أن مساعده دارث فادير يتمكن من الهرب..

وفى الجزء الثانى، تهجم جيوش فادير المتقدمة على معسكر الأميرة وتدمره مما يدفع بها أن تهرب مع هان سولو وولتر، وأصبح ووكى فادير يتلقى أوامره من شبح الديكتاتور تاركين الذى مات فى الجزء الأول، والذى يأمره أن يسعى للحصول على لوك، والذى يعرف سر القوة كى يحكما معا الكون بأكمله .. ويظهر أيضا شبح كنوبى للفتى كى يطلب منه أن يلتقى بيودا ليتعلم الحكم والحكمة، وأن الانتصار على الخصم مرده إلى القوة المعنوية قبل المهارات المادية .

والصديقان هان سولوولوك لا يلتقيان فى الجزء الثانى، سوى مرة واحدة، بعد ان تولى الأول إنقاذ الثانى فى الصحراء – ففى رحلتين طويلتين يذهب كل منهما لهدف ما .. هان يهرب مع الأميرة .. وعندما يتقابل الصديقان مرة ثانية، يكون هان قد أصبح جثة مجمدة لا يتحرك فيها سوى العقل .. ويكتشف لوك أنه ينحدر من سلسلة أمراء، وأن عليه أن يصارع دارث فادير ويقتله ليقيم امبراطورية أساس الحكم فيها العدل .

ويقول لوكاس إن الجزء الثالث من القصة (يمكن تسميته "انتقام الجيداى" الذى سينتهى فيه لوك أو دارث فادير إلى الذهاب بعيدًا عن هدفها النهائى. وسوف تنتهى الأجزاء الثلاثة بإعادة بناء الجمهورية- وبالنظر إلى الشكل العام، لهذا المسلسل سنلاحظ أنه يتشابه مع المسلسل الفكاهى (المفتش كلوزو) .. فبعد (الفهد الوردى) والفهد الوردى يهاجم مرة أخرى، ثم (انتقام الفهد الوردى) – نرى نفس الأسماء نفسها فى مسلسل (حروب النجوم) ..

ونحن لا نريد عقد مقارنة بين شخصيات ولوكاس.. ولكنها شخصيات متقاربة من حيث إنها مصنوعة أساسا للتسلية.. وهى غير قابلة للفناء.. فمهما تعرضوا للاخطار والمتاعب، فإنهم يعودون لمواصلة نشاطهم مرة أخرى. وهى امتداد للشخصيات التى صنعها والت ديزنى.. وان كانت شخصيات لوكاس الرئيسية تواجه عاملا أشد ضراوة .. لكنه كما أشرنا ليس شديد الشر.. فبالرغم من مئات النيازك التى تحيط بسفينة الفضاء التى يقودها هان سولو فإن واحدة منها لا تصطدم بالسفينة، أما ذلك النفق الهائل الضخم الذى استقرت فيه السفينة لفترة من الوقت، فلم يكن سوى عنق طويل لحيوان ضخم من حيوانات الفضاء .

أما آليات المشاة فمصنوعة بشكل كاريكاتورى يبعث على الضحك أكثر من مبعثها للخوف، وعندما تسقط أرضا فإنها تسبب ارتياحا أكثر- أما الإنسانان الآليان الذى تال بعض النقاد إنها تجسيد (تخيل علمى) لكل من لوريل وهاردى.. فإن لوكاس يعتبرهما البطلين الحقيقين لهذه

السلسلة (أنهما يمثلان العنصر الفكاهى فى هذا الفيلم، وهما يشكلان ثنائيًا مثل لوريل وهاردى وهو اختيار يمكن به إثبات أن الروبوتات يمكنها أن تبدو بشرية مثل الإنسان).

وجورج لوكاس الذى قام بتأليف هذا المسلسل، وأخرج أول أجزائه وتولى بنفسه انتاج خمسة أفلام أخرى، لم يرغب فى أن يشترك فى إخراجه هذه المرة، وجاء بمخرج من جيل الستينيات لم يقدم أية فيلم، يحمل سمة الجودة ضمن الاثنى عشر فيلما التى اخرجها، وأقبل على هذه المغامرة مع لوكاس الذى بدأ أنه تسلط تماما على مخرجه فى إدارة فيلمه بالخدع والتصوير المبهر نفسه.. والمونتاج البالغ الاتقان.. بالإضافة إلى الجو العام نفسه الذى ارتبط بالفيلمين.. وقد حاول لوكاس أن يستفيد من الأخطاء التى وصمت فيلمه الأول، فجاءت المعارك فى المرة الثانية ليست صراعًا بين أطراف، بقدر ما هى منبع صراعات تجذب انتباه الجمهور.

ومن هنا يتضح أن لوكاس لم يكن صادقاً تمام حين أعلن أنه لن يخرج أيا من أجزاء أفلامه التالية (لقد بلغت هدفى، بأن

أبين للشباب أن اكتشافها لا يعد مغامرة علمية فقط، ولكنه اكتشاف عاطفى وشاعرى، فإذا رحل أحد الملاحين يوما إلى المريخ فسوف يقول لقد فعلت هذا؛ لأننى آمل أن أقابل ووكى، وعندما يحدث فسأكون سعيداً).

obeikandl.com

ترون (١٩٨١)

Tron

هذا الفيلم أحدث انقلاباً تامًّا فى صناعة السينما.

قال خبراء صناعة السينما إن هذا الفيلم أعلن قيام السينما الإلكترونية، فبعد السينما الصامتة و السينما الناطقة هاهو عصر جديد، وبعد أن كان المخرج يجلس فيه أمام الشاريو ليدير فيلمه عليه الآن يجلس أمام وحدة تحكم إليكترونى ليقدم الصورة والموضوع الذى يسعى إليه.. لن يكون هذه المرة مجرد مخرج، وإنما واحد ممن لهم الخبرة بإدارة الكمبيوتر..

الفيلم الذى بدأت به صناعة السينما عصراً جديداً اسمه "ترون"، تم إنتاجه عام ١٩٨١، من إخراج "ستيفن سبيلبرج" وفى عام ٢٠١١، أى بعد ثلاثين عاماً، تم انتاجه مرة أخرى . بعد أن تطورت السينما الإليكترونية إلى ما نعرفه عنها اليوم، فإن حديثنا سيكون عن الفيلم الأول، الذى أحدث انقلاباً فى السينما، وقدم عصراً جديداً، وصار من الضرورة أن يتحدث عن العصر الذى سيمثله؛ أى إنه من

أفلام التخيل العلمى، وليس التخيل التقليدى المتعارف عليه، قدر ما هو يدور فى أجواء المستقبل الإليكترونى، فقصته بالغة البساطة؛ خاصة أن الشركة التى أنتجته هى "والت ديزنى"، التى قدمت من قبل أعظم أفلام الرسوم المتحركة، وروايات خالدة من أدب التخيل العلمى مثل " ٢٠ ألف فرسخ تحت البحر".

ورغم أن السينما الإليكترونية قد بدأت، إلا أن العنصر البشرى لا يزال موجودًا يدير هذه الأفلام، فرغم أن ملصقات فيلم "ترون" تحمل فى ذيلها اسم ستيفن ليسبرج كمخرج، إلا أن منفذ الفيلم الحقيقى هو "ريتشارد تايلور" الخبير الالكترونى الذى لم يتعد الثالثة والعشرين، و"هاريسون اللينشو" المنتج الفنى للفيلم، يقول تايلور إن كل صورة من الفيلم تتكون من مليون نقطة مضيئة بالألوان، وكل نقطة منها مترجمة من أرقام كودية، وأن الكمبيوتر لا يمكنه فقط قراءة الصورة، ولكنها قراءة وتسجيل للذاكرة البشرية.. جاءت الفكرة فى أول الأمر أن الأشرار فى الفيلم

يجب أن يكونوا باللون الأزرق، أما الأخيار فيتلونون بالأحمر أو الأصفر، ووجدنا أن علينا أن نقلب المفهوم؛ فالأحمر بالنسبة للكمبيوتر يقلب الالوان، أما الازرق ، قياسا إلى الأحمر فهو لون رقيق محايد، اليوم يمكن للكمبيوتر أن يخلق كل شيء، حتى وجه "مارلين مونرو" .

ولأن السينما الالكترونية (الرقمية) يمكنها تخزين الذاكرة فإن صناع هذه السينما يقولون انه يمكن إنتاج أفلام جديدة نرى فيها نجوم السينما القدامى بشحومهم ولحمهم مثل: "مارلين مونرو" ، وكلارك جيبل، وأنور وجدى ، وعبدالحليم حافظ" .

أما اللينشو الذى كان فى الثامنة والثلاثين، يقول إن الكمبيوتر يمثل المستقبل.. هناك فقط مشكلة واحدة هى أن التحديات سوف تخلق التخيل فى المستقبل.

وقصة الفيلم كما سبقت الإشارة بسيطة، فهى فى الغالب قصة أخيار وأشرار، وقد اختار صناعه عنواناً يمثل النصف الثانى من كلمة " إليكترون" .

القصة حول الصراع الأزلى بين الخير والشر، وتنتهى بفوز الطرف الأول؛ فهناك ساحر يناضل ضد الآلة، التى صنعها ثم تمرد عليها، هذا الساحر هو الإنسان، وهو الشرير، أما الآلة فهى الكائن الطيب ، هذا الرجل يقوم بتغذية الآلة ويراعيها ولكن برامجها تتغير فجأة.

ليس فى الفيلم ممثلون معروفون أو نجوم، عهدنا رؤيتهم فى "أفلام التخيل العلمى"، التى غزت الشاشة طوال عقود القرن العشرين .

يقول مخرج الفيلم: هناك خمس عشرة دقيقة كاملة من فيلمى، لم تحسمها يد بشرية " يقول إنه لم يكن هناك عاملون تقليديون ، فهناك سيناريو بسيط، قام بكتابته وجلس مع التقنيين أمام الشاشة يديرون بعض الممثلين أحياناً.. لكن كان على الكمبيوتر أن يؤدى الدور الأكبر. ففى أحد المشاهد التى استغرقت سبع ثوان فقط، تم عملها فى أربعين ساعة ، وكان وراءها ستة من التقنيين، وعشرون مساعداً وثمانية فنانين تشكيليين، وعشرون مسؤولاً عن الكمبيوتر .

وجاءت النتيجة غريبة، فالتجربة قد نجحت. وصار الفيلم متعة للعين، وأعلن النقاد أن عهداً جديداً من عصور السينما قد بدأ ، وقيل آنذاك إن الفيلم "ترون" هو أول أفلام القرن الواحد والعشرين؛ مما دفع بالشركة المنتجة إلى اعادة التجربة فى عام ٢٠١١، فى فيلم يحمل الاسم نفسه "ترون"..

obeikandl.com

ماكس المجنون (١٩٨٢)

Mad Max

غدا.. أو بالتقريب داخل سفر رؤيا، هناك مركز ذرى.. مركز فخم ، مركز وقود.. الأرض. منكمشة.. صحراء محترقة.. مجموعة صغيرة من الرجال والنساء والاطفال. محاصرون بصراخ فلول الحيوانات والعربات المصفحة والمركبات على طراز فيلم "ركوب سهل" وسط الشمس . يبدأ عصر جديد من الظلام، ولكن بدلًا من الفاندال والهون.. ها هم البيكى أو المجانين.

القراصنة الجدد الذين يعيشون فى الأرض فساداً؛ فلا قانون فوق الأرض، أو فوق ما تبقى منها. فجأة يظهر رجل ذو نظرة زرقاء فولاذية، وجه صارم أشعث الشعر، له خصلة شقراء.. أنه وحده على قمة عربة أسطورية، وسط الضجيج والغضب.. يتدفق فى أسطورية السينما.. أنه ماكس المجنون.. يعود مره أخرى.

"ماكس المجنون" عرض منذ عامين، وحقق مفاجأة

غريبه فى مهرجان افورياز.. خان التوفيق لجنة التحكيم فى فهم قصة شرطى المستقبل، أو فارس الغد، الذى قتل راكبى الدراجات البخارية زوجته وأبناءه .

ظهر "ماكس المجنون جـ٢" . الأقل حوارًا والأكثر حركة.. ينزلق على المنحدر الجليدى فى مهرجان أفورياز، ويهز شجرة الجوز وينال الجائزة الكبرى. عمل جميل للمخرج جورج ميلر شاب صغير هادئ. تبدو له أفكار أونوريه دى بلزاك نفسها.

إنه أسترالى.. من طراز سبيلبرج ولوكاس.. من الجيل نفسه.. مجنون بالسينما مثلهما، تأثر بأفلام روجر كورمان وسرجيو ليونى فى أفلام الغرب الإسباجيتى، وكوروساوا وأفلام الترحال.. وأفلام الحركة فى السبعينيات وكذلك فيلم " الطفل المتوحش" لتريفو.. فمن أجل عيون طفل له جلد حيوانات .. مسلح بسهم مرتد بتصرف كمحترف . لا يعبر عن نفسه سوى بهمهمات وتشنجات أشبه بأسطورة مامس، كمحارب الطريق.. كل الأنواع تختلط : الرعب، والمطاردة، والحركة.

يقول جورج ميلر بصوته الرقيق، الذى يختلف عن عنف قاطعى الطرق " أثناء إخراج ماكس المجنون فى الولايات المتحدة .. قابلت جوزيف كامبل مؤلف " أبطال بألف وجه".. عالمى متخصص فى سينما الشباب وعلى دراية تامه بعلم الأساطير متعمق للغاية، ودارس بطريقة تؤكد أن ثقافته قادمة "إلياذة" هوميروس إلى "صخرة" جون فورد، مروراً بالساموراى السبعة.. عالما أننا سوف نعمل فى دنيا أسطورية؛ ليصبح ماكس نموذجا لكل هذه الثقافات، وتلعب الميثولوجيا المثالية دورًا رائعاً: بالنسبة لماكس والشخصيات الأخرى.

ففى ماكس الأول، يواجه فرسان الليل وعصاباته فرسان القدر.. تتوالد الروائح النتنة التى تنبع من عفونة مستقبل مجتمع صناعى قريب.. يقول الراوى عند افتتاح "ماكس المجنون ٢" (تولد مدن الانابيب الفولاذ فى الصحراء. الان فإنها تختفى.. تتلاشى) تصبح الطرق متاهات يتواجه فيها المصارعون . الباقون على قيد الحياة فى مجتمع مات منذ قليل . وقوى الشر الابدى من ناحية أخرى.. فإن "ماكس المجنون ٢" ينتمى لأفلام الغرب بصورة واضحة . يقول جورج ميلر:

"فى أستراليا، قامت حضارة السيارات مثلما فى الولايات المتحدة، واشتعلت نيران الحرب" ولكن بدلًا من الجياد، فنحن فى الدنيا السيارات والدراجات البخارية. يمتطى "ماكس لون رانجر" جوادًا أسود رائعًا، ويقوده نحو المطارده الثامنة" .

راندولف سكوت.. جارى كوبر.. هنرى فوندا.. كم مرة رأينا هذا الفارس القادم من بعيد. حاملاً فى داخله سرًّا غريباً.. متشرداً. وحيداً.. يجد نفسه مرغما أن يحارب مجموعة من المرتزقة. يتعلق الأمر بالباقين على قيد الحياة فى مجتمع ريفى وزراعى. يؤسسون مدينة حول نبع مياه ويدفعوا عنها الخطر ضد الهنود أو الفرسان. حسنًا. بعد أن يدافعون عن أرضهم.. تنظم المجموعة نفسها داخل قافلة، وتحلم بالرحيل نحو الغرب.. إلى بلاد اللبن والعسل.. أرض الرخاء كاليفورنيا أو كوين لاند .

فى " ماكس المجنون"، يقدم النضال نبع مياه يصبح بئر بترول.. هذا الذهب الاسود الذى غير العالم والذى اختفى

من على سطح البسيطة (هنا يحترق بالأطنان). يمكن ان نسمى الفيلم "هجوم فورت جازولين" .. "الهنود.. الهنود إنهم يهجمون" العربات تنقلب وتشكل دائرة وسط الصحراء. يتسلح كل أفراد المعسكر.. أنها العوده إلى عصر التقنيات والتسلح بالنار والرصاص والأسهم المرتدة والملابس المجنونة. وقطع الغبار. جلد ، سلاسل، ريش "الموهيكان الاخير" يتقابل " حرب النجوم" .

فى قلب الحرب ذى الرأس الخرافية.. وزعيم الأشرار، الذى يرتدى قناعاً وصلعة دراث فادر فى " حرب النجوم" . يقول ميل جيبسون الذى أدى دور ماكس، وأحد أبطال "جاليبولى" .. إنه شخص ذو بعدين، إنه نموذج رائع، لحيته لا يزيد عمرها عن خمسة أيام" .. سأل ماكس المجموعة " أتودون الخروج ؟ إنه يحب أن يتكلم وحده . خمسة عشر شخصا يظهرون فى "ماكس المجنون ٢".. إنه كلينت استوود فى أفلام سرجيو ليونى.

يستكمل جورج ميلر : هناك عشر صور من الحوار

مقابل مئات الصفحات من السيناريو.. وهذا يفرض أن يكون للفيلم إيقاع دقيق للغاية.. خطتنا فى " ماكس المجنون" ان نضم مائتى مشهداً من الإسقاط .. اسبوعان من العمل ٨٠ عربة ، شاحنات ، هليوكوبتر ، خمسة جرحى من البدائل، ٤٠ عربة ودراجة بخارية.. وكاميرا تساوى ١٤٠ الف دولار ضاعت فى الهواء .

أول أفلام جورج ميلر ملأته الأخطاء، ولا يحتمل المشاهدة.. بعد ماكس المجنون – الأول -- عزل نفسه فى منزل وبقى مع أحد اصدقائه؛ كى يكتب سيناريو جديداً.. وليس بعيداً عن المنزل. فوق برزخ وستبورت باى، أقيم مصنع بتروكيماوى صغير. " لنتخيل معمل تكرير صغيرًا معزولاً فى عالم ينهار وسط المياه.. يدور كل شىء فى سفينة.. أستراليا هى الصحراء والطريق.. السيارات البالغة السرعة التى تصور بكاميرا أكثر سرعة، فوق الأرض يعود ماكس المجنون . لكن أين؟ رجل وحشى.. ذو عضلات.. مقنع.. انسان شرس.. يقول للطلائع لنصنع السلام. هناك كثير من العنف والآلام..

"يتكلم عبر قناع دارث فادر بصوت جاك بالانس ومع هذا نشعر ان العنف الذى يدور وسط الفيلم، ليس سوى أنشودة مارى بوبنز.

يحتج ميلر: ولكن العنف موجة الموضوعات.. العربات.. الدرجات البخارية. حافلات، الناس تتساءل عن معنى العنف فى " ماكس المجنون".. هناك الإحساس بالعنف طيلة الفيلم؛ خاصة فى شريط الصوت الذى صنع بعناية. أما بالنسبة للإيقاع والموسيقى، فالفيلم بالنسبة لى يرتبط بمستوى المشاعر والحس وليس بالفكر والموضوعية فيلم مثل "ماكس المجنون"، يحقق حلمًا أو كابوسًا يسمح بتجسيد مخاوفنا وأسرارها.

قبل أن يأتى إلى السينما عمل جورج ميلر طبيبًا، عمل فى الإسعافات داخل مستشفى كبير، كان على صلة يوميا بما يدور من حوادث هل الطريق.. ومن ناحية أخرى، فالعنف يكمن فى الطبيعة البشرية.

عن مجلة بروميير – أغسطس ١٩٨٢م

أى . تى E.T (١٩٨٢)

فى أوائل عام ٢٠٠٢، وقبل الاستعداد العالمى لإعادة عرض فيلم "أى. تى" بمناسبة مرور عشرين عامًا على إنتاجه.. وعرضه الأول، قامت مجلات سينمائية عديدة، خاصة فى الولايات المتحدة وبريطانيا، وفرنسا، بإصدار أعداد خاصة عن المخرج ستيفن سبيلبرج.

وبدت هذه المجلات، كأنها تحتفى بهذا الكم من الأفلام المهمة فى تاريخ السينما، وأيضا فى ذاكرة الناس، وكان الغريب، ما قامت به مجلة "فيلم ريـڤيو"، حين اختارت أحسن عشرة أفلام، قام المخرج بتقديمها إلى الناس، كالتالى، من أسفل إلى أعلى:

١٠ – هوك .

٩ – إمبراطورية الشمس .

٨ – حديقة الديناصورات.

٧ – الفك المفترس .

٦ – لقاءات قريبة من النوع الثالث .

٥ – قائمة شندلر

٤ – إمبراطورية الشمس .

٣ – صراع .

٢ – حديقة الديناصورات.

١ – إنقاذ الجندى ريان .

وكما نرى، فإننا أمام اختيار غير مألوف، لا نريد أن نقوم بتعديله بناء على رؤيتنا لهذه الأفلام؛ فهناك أفلام تم اختيارها مرتين، وأفلام مهمة، تم استبعادها من قائمة أحسن أفلام سبيلبرج ومنها بالطبع ثلاثة أندياناجونز و أى. تى..أى إنه من بين التسعة عشر فيلما التى أخرجها سبيلبرج بين عامى ١٩٧٣ ، ٢٠٠١، تم استبعاد نصف الأفلام تقريباً، من بينها أهم أفلام المخرج على الإطلاق فى منظور الناس.. هذا الرجل الذى قال فى إبريل عام ٢٠٠٢ أنه قدم للناس أفلامًا لترضيهم، ولكنه لم يقدم الفيلم الذى يرضيه بعد، وأنه بصدد أن يفعل ذلك فى المستقبل.

هذه المجلة التى تجاهلت فيلم "أى. تى" دفعت محررتها

جودى سلوان إلى عمل تحقيق عن فيلم "أى. تى" فى العدد نفسه، ونشر فى ست صفحات كاملة، وكأن ذلك إشارة أن للفيلم مكانه خاصة فى سينما المخرج، وأنه يستحق بالفعل الاحتفال به.

والفيلم الذى عرض فى الولايات المتحدة مع نهاية شهر فبراير من العام نفسه - بطبيعته الجديدة، وإضافات مختلفة- ظل فى قائمة أعلى الإيرادات لعدة أسابيع، وسط الأفلام الجديدة، ثم بدأ كل فيلم فى التخلى عن القمة؛ كى يتيح الفرصة لأعمال أخرى..

حتى الآن لم يتم الاحتفال بذكرى عرض أى فيلم آخر لنفس المخرج، من الأعمال الموجودة فى القائمة نفسها، ومنها "الفك المفترس" و"لقاءات قريبة... " و"صراع.."؛ وذلك بالطبع لأن لفيلم "أى. تى" مذاقًا خاصًّا .. مختلفًا..

وهذا ما سوف نتعرف عليه ، هذا الفيلم الذى تكلف إنتاجه ١١.٥ مليون دولار أمريكى، وحصد قبل عرضه

الجديد فى عام ٢٠٠٢ أكثر من ٧٠٠ مليون دولار .. فترى أى فيلم هو!

سوف نلاحظ أن هناك امتداداً بين هذا الفيلم، وفيلم"لقاءات قريبة مع النوع الثالث"، سواء مسألة مخاطبة أهل الفضاء أو وجود مكثف للاطفال، والعزف على وتر الامومة ، وأيضًا وجود طبق طائر قادم من أعلى، به مخلوقات محددة الهوية، لا تريد لسكان الأرض أى شر؛ بل إنها تسعى للتوحد معهم .. ففى "أى. تى"، هناك طبق طائر يحوم حول الأرض فى رحلة استكشافية غامضة، والقادم من الفضاء، والذى يتصرف كالأطفال؛ فيدفع الثمن أنه لا يستطيع اللحاق بالطبق الطائر، عندما يحوطه الخطر، ويكون الثمن أنه يتوه فى الأرض، ويتعرض للخطر، وكأنه المصير نفسه، الذى سبق للطفل بارى أن مر به .

"أى. تى" له السمات الجسدية نفسها، والعمرية تقريبًا، فبالإضافة إلى رأسه الأكبر قياسًا إلى حجم جسده، فإنه يتسم بعينين واسعتين، ورقبه طويلة، وهو أقرب إلى نسخة معدلة لما كانت عليه مخلوقات "لقاءات قريبة من النوع الثالث " .

وتكون المصادفة أن ينزل هذا المخلوق إلى مكان قريب، تسكن فيه أسرة أشبه بأسرة جيليان فى الفيلم السابق، عدا أن الأم هنا لها ثلاثة أبناء، هم، اليوت (هنرى توماس)، وابنة هى جريتى(درو باريمور)، ثم مايكل (روبرت ماكنفتون) .

المنزل الذى نزل به المخلوق القادم من الفضاء، يعيش فيه الأطفال الثلاثة مع أمهم، بعد أن هجرهم أبوهم إلى المكسيك، وعاش مع أم أخرى، وهؤلاء الصغار يتصرفون كأشخاص يحسون بقيمة المسئولية، فهم قادرون على تحمل غياب الأب، وهم أطفال لا يعانون من متاعب كبرى، رغم غياب العائل.

وإلى هذه الأسرة يأتى "أى. تى".. يبدو فى البداية منفراً، فيصرخ اليوت حين يراه لأول مره، ثم يكتشف أنه أمام طفل أقرب إليه فى الصفات، رغم الهيئة الغريبة التى شاهده عليها.

ومنذ اللقاء الأول، نكتشف أننا لسنا فقط أمام ثلاثة أطفال فى أسرة واحدة، بل إن المخلوق الفضائى هو فى حقيقة الأمر طفل رابع، صار عليه أن يحتمى بهم، وأن يدافعوا عنه؛

فالفيلم ركز على علاقة الصداقة، التى نشأت فى البداية بين اليوت والمخلوق القصير الصغير، ويحدث بين الصغار نوع من التوحد النفسى حين تتلامس أصابع كل منهما، يشع من المخلوق ضوء، يعكس ما يتمتع به من قدرات غير عادية.

وشيئا فشيئا يدخل "أى. تى" إلى حياة الأسرة، فتتعرف عليه الأخت جريتى التى تفزع منه فى البداية، ثم يأتى دور الأخ الأكبر مايكل، ويتفق الثلاثة أن يتكتموا خبر وجود هذا المخلوق عن الأم؛ حتى لا تضطر إلى إبلاغ الشرطة بوجوده فى منزلها.

فى الفيلم تتكشف رؤية سبيلبرج للأطفال على أفضل ما يكون في أفلامه؛ فالصغار هنا هم الأشخاص الرئيسيين، أما الأم فتنزوى عن الأحداث، ويبدو وجودها ثانويًّا قياسًا إلى العلاقة الحميمة التي تنمو بين الأطفال، والصغير القادم من كوكب بعيد.

وبعد أن تنمو العلاقة القوية بين الأشقاء الثلاثة و"أى. تى"، تتسع دائرة الأطفال، فيأتى أصدقاء الحى، والمدرسة،

ويتكتل الصغار حوله، يتفاهمون معه ويحاولون أن يعلموه بعض الأشياء الصغيرة، مثل: استخدام التليفون على سبيل المثال، كما أن الأطفال يحاولون حمايته من أى أخطار، ويحرصون على عدم تسريب خبر وجوده خارج دائرتهم الصغيرة؛ خاصة عن الأم مارى.

ويقول رؤوف توفيق في مقال عن الفيلم، نشره بمجلة الدوحة (أغسطس ١٩٨٢) " لا تملك كمشاهد طوال تلك اللحظات سوى الضحك والدهشة من تصاريف الأطفال وخفة ظلهم، وفى الوقت نفسه الإحساس بالقلق على هذا المخلوق العجيب، بعد أن تعودت على شكله الغريب، وحنينه الجارف للعودة إلى أهله وبيته.. إنه يردد دومًا كلمة "البيت".

لذا؛ فإن اليوت يحاول أن يجد وسيلة اتصال بالعالم الخارجى؛ حتى يتمكن "أى. تى" من التواصل مع عشيرته، ويتمكن اليوت من أن يجمع بعض النفايا غير المفيدة في المنزل، من اجل عمل هوائى خاص، يتمكن من تركيبه فوق التل المرتفع، ويبأس "أى. تى" بالفعل من التواصل الأولى مع

أهله، الذين يسكنون على مسافة طولها عدة سنوات ضوئية، لكنه يفشل، ويحدث توحد جديد بين الصبى اليوت، ومخلوقه، فكلاهما محروم من الأب، لكن "أى. تى" أكثر غرابة؛ لذا فإنه يصاب بالمرض، ويعجز الأطفال عن علاجه.

ويصل التوحد إلى قمته بين الاثنين، فاليوت أيضاً يصاب بمرض مشابه، ويفقد الوعى، بعد أن يتم القبض على المخلوق، وإيداعه مكان سرى تحت الرعاية والفحص الدقيق. ويبدو السيناريو الذى كتبته ميلسيا ماتيسون بالغ الذكاء، وهو يعزف على هذا التوحد المتولد بين الاثنين، فعندما يسترد "أى. تى" وعيه، فإن الأمر نفسه يحدث بالنسبة للصبى، ويسرع إليه مع أخوية، وبعض الأصدقاء ويقومون باختطافه بهدف إنقاذه من معاناته، والعمل على إعادته إلى أسرته.

ويعزف الفيلم على مشاعر عديدة متأججه، أهمها أن "أى. تى" ابن يتوق إلى اسرته، مما يجسد من مشاعر الحب القيمة بين "اى تى" والمشاهد نفسه، فنحن أمام ابن بار،

يسعى إلى الاتصال بأبويه بأى ثمن، وإذا كان الأب قد هجر أسرته إلى المكسيك من جل امرأة أخرى، فإن سكان الفضاء أكثر تماسكًا، وهم بالفعل سيرسلون طبقاً طائراً جديداً من أجل استعادة طفلهم، وسط مطاردات، حاول سبيلبرج إن يخفف من حدتها في الطبعة الجديدة من الفيلم، التي عرضت عام ٢٠٠٢.

ومشهد المطاردة التي قام فيه الأطفال بالهروب من رجال الشرطة وآلياتهم يجعل من الصغار أبطالاً حقيقيين، ويوسمهم بالشجاعة، ويجعلنا نراهم مليئين بالاقدام، والقدرة على المغامرة والدهشة؛ حتى يأتى الطبق الطائر، وتحين النهاية، فيودع اليوت صديقه، وكل منهما تغالبه الدموع، ويردد باللغة التي تعلمها من اليوت أنه سيعود إلى "بيته".

يصنع سبيلبرج فيلمًا أسريا في المقام الأول؛ فالأطفال البشر يحمون منزلهم، والطفل "أى. تى" لا يحس بقيمته إلا في منزله، في الكوكب البعيد، وتلك سمات واضحة في أفلام المخرج، خاصة التي بها أطفال ، ولكن هذه السمة بدت أكثر تجسيما في " أى. تى".

ونتيجة لأهمية الفيلم، وتعاظم قيمته، ومثلما فعلت محررة مجلة " فيلم ريفيو" تم تخصيص صفحات زائدة للحديث عن الفيلم، فإننا سوف نحكى القصة على طريقة كتابة الروايات؛ للشعور أكثر بالقيمة التي يتسم بها الفيلم.

obeikandl.com

لذا فإن أحدًا من سكانها لم يشاهد سفينة الفضاء التي نزلت من أعلى السماء، وهبطت ببطء شديد واختارت غابة صغيرة للنزول فوقها ..

وبمجرد أن هبطت سفينة الفضاء.. حتى فتح بابها السفلي، وخرجت منه مخلوقات فضائية أشبه بالأشباح، ووسط الليل الداكن راحت الأشباح القصيرة تتحرك في الغابة، تقطف عينات من النباتات والأزهار التي تملأ الغابة..

لا تزال المدينة نائمة، ويبدو كل شيء ساكنًا، والمخلوقات الفضائية تتقدم في حذر وسط أصوات العصافير ونقيق الضفادع .. وتقطف من النباتات عينات، يضعونها في حقائب صغيرة..

لكن فجأة امتلأت الغابة بأضواء مبهرة.. وظهر جنود الجيش، الذين جاءوا يفتشون عن سفينة الفضاء، التي التقطتها شاشات الرادار..

وانقلب المكان وسادت فيه الحركة.. وامتلأ بالارتباك والضوضاء، فهناك دبابات ومصفحات وأجهزة لاسلكى، وقائد يطلب من جنوده إن يقبضوا على الغزاة ..

وأحس الغرباء بالخطر الذى يتهددهم.. فأسرع قائد المجموعة الفضائية بتوجيه الأمر لمساعديه أن يعودوا بأقصى سرعة إلى المركبة الفضائية..

وبأسرع من البرق.. كان الغرباء قد عادوا إلى سفينتهم.. وأغلقوا الباب، وتأهبوا للرحيل..

... ...

وبالسرعة نفسها، ارتفعت المركبة الفضائية إلى السماء وشقت السحاب، ثم اختفت عن العيون..

وفجأة تنبه قائد المجموعة الفضائية إلى أن مجموعته غير كاملة.. ومع ذلك استمرت المركبة في الاندفاع نحو الفضاء البعيد.. إنه يدرك تمام صعوبة العودة؛ من أجل انقاذ عضو كسول .. ثم أنه يعرف تمامًا كيف ينقذه في الوقت المناسب ..

مسكين ذلك العضو الكسول ..

فلم تساعده أصابعه الطويلة، أو أقدامه المفلطحة على الجرى ليلحق بأصدقائه.. لذا وقع وسط الأحراش، ولم يتمكن أحد من رؤيته.. فرفع يده في الهواء يائسا بحركة مالبثت أن تحولت إلى إشارة وداع..

إنه أى .تى المخلوق القادم من الفضاء .. الذى يبحث عنه رجال الشرطة في كل مكان .. لذا راحوا يملأون المنطقة بحركاتهم لعلهم يعثرون عليه .. إنهم يعرفون أن كائنًا غريبًا هناك..

راح القزم الصغير يتحرك ببطء وتثاقل، وهو يبحث لنفسه عن مكان آمن في تلك القرية الصغيرة.. وبسرعة أدرك أن الفجر لو اقترب فسوف يتم اكتشافه والقبض عليه.. لذا دخل أول منزل أحس أنه سيكون آمنا بالنسبة له ..

....

كان خبر المخلوقات الغريبة التي حطت في الغابة قد

انتشر في بيوت القرية الصغيرة.. لذا جلس اليوت يتحدث مع اخته عن شكل هذه المخلوقات وخطورتها ... فقال لأخته:

- إنهم عمالقة .. يمكن لأى واحد منهم أن يهدم بيتًا بيده .. ويمكن أن يأكل إنسانًا.

ردت أخته :

- لا داع لهذا الهراءات .. هيا إلى النوم من أجل الاستيقاظ مبكرًا ..

وانسحب اليوت إلى غرفته .. لكنه سمع فجأة حركة .. في بادئ الأمر كذب أذنيه.. ثم تسلل إلى الحديقة؛ فأحس بالصوت أكثر وضوحًا.. لذا سرعان ما عاد إلى أمه، وقال وقد تهلل وجهه بالفرح:

- وجدته .. إنه في غرفة المخزن..

لم تصدق الأم ابنها.. فهو يبتسم، بدلًا من أن يصاب بالرعب .. سألته أخته :

- سوف يأكلك ...

ضحك اليوت وقال : لا ... إنه صغير .. أصغر منى ...

سألته : هل رأيته ؟..

رد: أعتقد هذا .. ولأن اليوت لا يكذب أبدًا؛ لذا سرعان ما تسلح جميع أفراد الأسرة بكل ما أمكنهم الوصول إليه من أدوات حادة، وأسرعوا نحو المخزن ..

وعندما فتحت الأم الباب، خيل لها أنها سمعت صوتًا غريبًا.. لذا طلبت من أولادها أن يقفوا بعيدًا ودخلت تبحث عنه .. ولكنها لم تعثر على شيء..

قالت وهى تتنهد خارجة : الحمد لله .. إنها خيالات .. هيا إلى النوم ..

وانسحب الجميع مرة أخرى إلى أسرتهم .. واليوت على يقين أن هناك شيئًا ما في منزلهم .. وسرعان ما صدق إحساسه فانه بمجرد إن دخل غرفته رآه.. مخلوق غريب الشكل، قصير القامة، طويل اليدين والاصابع. واسع العينين ورغم بشاعة شكله.. إلا أن اليوت أحس في هذين العينين

الواسعتين بالطيبة. لذا لم يصرخ. وظل يحملق فيه.. ثم اقترب منه، فرآه ينظر إليه بحنان غريب ..

حاول أن يتكلم معه .. فلم يفهم لغته ..

ولكن القزم الصغير رفع يده، وأشار نحو السماء . فسرعان ما فهم اليوت مقصده ..

أحس اليوت أن صديقة في خطر، وأن عليه أن يحميه، وأن يخبئه في غرفته؛ حتى يتمكن من توصيله إلى أهله .. في الفضاء .. ورغم أنه لا يعرف كيف، لكنه أحس أن صديقه القزم لديه الطريقة ..

....

راح يشير إليه بيده .. حاول أن يفهمه، ولكن الأمر بدا صعبًا عليه . سأله :

- هل أنت من سكان الفضاء؟..

ابتسم القزم الصغير، وهز رأسه بالإيجاب ..

حاول اليوت مرة أخرى وقال :

- هل أنت من جاء في أطباق طائرة إلى هنا ....؟

هز القزم رأسه مرة أخرى .. ورفع أصبعه الطويل .. لم يفهم اليوم ماذا يقصد .. فراح يستفسر منه : ماذا تقصد؟..

ظل القزم يرفع إصبعه الطويل .. احتار اليوت، وهو يسأل نفسه: ترى ماذا يقصد ؟..

تنبه فجأة وقال:

- تقصد طبقًا طائرًا واحدًا...

هز "أى.تى" (وهى حروف مختصرة تعنى المخلوق القادم من الفضاء) رأسه وهو يبتسم .. ثم سأله من جديد :

- هل هناك زملاء لك في مكان قريب؟

ببؤس شديد هز رأسه بالنفى .. فشعر اليوت بالألم، وراح يؤكد لنفسه أن عليه أن يساعده بأى طريقه .. فراح

obeikandl.com

يسأل نفسه : ترى كيف أساعده ..؟ وهل سأنجح في ذلك؟...

....

أول شئ فكر فيه هو أن يشرك إخوته معه في هذه المغامرة . وان يعمل ثلاثتهم على إخفائه بعيدًا عن الخطر .. لذا أسرع إلى غرفة أخيه، وحكى له الأمر .. ثم أسرع إلى غرفة أخته .. وبعد دقائق قليلة كان الثلاثة أمام "أى .تى" وجهًا لوجه.

رغم أن الصغيرة صرخت، فإنها كانت أول من أخفى الحقيقة عن أمها؛ حين جاءت تسألها عن سبب صراخها ..

وطوال ثلاثة أيام، بدأ الأشقاء في محاولة التسلية عن صديقهم اللطيف، الذى راح يلاعبهم ويضاحكهم.. ولكن شيئا من الحزن ظل يرتسم على وجهه.. إنه ينظر دائمًا إلى السماء، ويتمنى أن يعود إلى هناك..

وأصيب فجأة بالمرض .. ولم يستطع الحركة .. وتغير لون

بشرته.. وتأوه بصوت مسموع، وعبثا حاول الصغار معالجته.. إلا أن حالته لم تتقدم؛ لذا أقترح اليوت عليهم:

- علينا أن نخبر ماما بالحقيقة. فقد تستطيع أن تساعدنا..

وعندما شاهدت الأم المخلوق الغريب، لم تصدق عينيها، وقبل أن تقترب منه، تحول البيت كله إلى خلية نحل حقيقية.. ففجأة، اقتحم رجال الشرطة المكان .. وسرعان ما أحاطوه بأنابيب ضخمة من البلاستيك الشفاف ذات الممرات الطويلة .. من أجل عزل المنزل عن القرية كلها .. خوفًا من التلوث.. وامتلأ البيت بعشرات الاطباء والعلماء، الذين راحوا يدرسون هوية هذا المخلوق الغريب.. واكتشفوا أن حالة «أى.تى» ميئوس منها .. وانه يقترب من الموت، دون أن يستطيع أحد إنقاذه ..

وسكنت حركة المخلوق نهائيًا.. فغطوه بالثلج؛ كى يستريح قليلا .

في هذه اللحظة، تسلل اليوت إلى حيث يوجد صديقه القزم .. وبدأ يزيح الثلج .. ثم أخذ يدلك أصابعه الطويلة.. وفجأة توهج أصبعه، وصرخ اليوت من الفرحة:

- إنه حى .. «أى. تى» حى ... الحمد لله..

....

وهلل الأصدقاء جميعًا.. اليوت وأخته وأصدقاء المدرسة.. أحس جميعهم بالتعاطف مع هذا الحيوان الطيب، الذى لم يؤذ أحدًا .. ويحبهم جميعا.. ومع هذا فالآخرون يريدون به شرا.

قال اليوت لصديقه سام :

- علينا أن ننقذه من هذا الجو النفسى..

رد سام : اعتقد إن السبب حالته هو بعده عن أهله وبنى وطنه ..

قال اليوت : تقصد كوكبه .. فاى تى ليس من أبناء كوكب الأرض .. إنه قادم من أعلى .. من كوكب بعيد تسكنه

مخلوقات لها شكل مختلف.. ومع ذلك فهم متقدمون كثيرًا.. بدليل أنهم استطاعوا الوصول إلى الأرض، قبل أن نصل نحن إليهم ..

سألت الأخت الصغيرة أخاها اليوت :

- هل تؤمن حقا إن هناك أطباقا طائرة؟

ردّ اليوت: طبعًا .. وفيها مخلوقات عاقلة.. وقد شوهدت الأطباق الطائرة في أماكن عديدة من العالم، وأعترف بها العلماء ورؤساء دول ..

ردّ اليوت : أجل .. فقد قرأت أن الرئيس كارتر قد شاهد يومًا أحد هذه الأطباق، وأكد وجودها ..

تدخل الصديق وقال : ليس لدينا وقت للحوار .. علينا إن نهرب بأى طريقة، بصديقنا القزم قبل أن ينتبه أحد إلى خطتنا .

وبعد قليل، أسرع اليوت بحمل صديقه القزم، وهرب به خارج المكان .. بينما أسرع وسام ورالف وأخته بتجهيز

مجموعة من الدراجات؛ كى يمكنهم الافلات من المطاردات التي تلاحقهم .

....

وقبل أن يركب اليوت الدراجة، راح يلف «أى. تى» في ملاءة بيضاء، ووضعه في سلة صغيرة في مقدمة الدراجة.. وأسرع يقودها، يتبعه اثنان من زملائه..

وعلى الفور، بدأت المطاردة بين رجال الشرطة والأطفال.. وركب رجال الشرطة سيارات سريعة. أما الأطفال، فكانوا يقودون دراجات صغيرة..

واقتربت الدراجات من قرص الشمس، وهى تتحرك .. لقد استطاع صديقهم القزم أن يؤثر على الدراجات بقدرته الخارقة ورفعها إلى أعلى .. قريبًا من السحاب .. من أجل إنقاذهم وإنقاذ نفسه ..

ومثلما استطاع إن يرتفع إلى أعلى.. استطاع أن يهبط بهم إلى أسفل .. وكانوا قد اقتربوا من الغابة ..

في تلك اللحظات كانت سفينة الفضاء قد عادت مرة أخرى إلى الغابة واستقرت بين اشجار الغابة، وانتظرت اقتراب القزم الصغير

واقترب الأطفال مع صديقهم من سفينة الفضاء الطائرة واقتربت أيضا لحظة الوداع

ولم يصدق اليوت أبدًا أن الوداع قريب إلى هذا الحد .. فسرعان ما نزل «أى. تى» من فوق الدراجة، وأخذ ينظر إلى أصدقائه .. ثم اقترب من اليوت ببطء وصافحه .. وطبع قبلة على جبينه، ونطق لأول مرة..

- شكرًا يا اليوت ....

ولم يصدق اليوت نفسه .. فصديقه يتكلم مثله .. أما أخته فقد أسرعت تقطف زهرة من أزهار الجيرانيوم، واقتربت من صديقها القزم، ومدتها له دون أن تتكلم ..

ولاحظ «أى. تى» الدموع في عينى صديقته، فأمسك بالزهرة، وضمها إلى صدره في حنان ..

بينما قال اليوت :

- هل أنت راحل فعلًا يا صديقى ؟...

هز رأسه بتثاقل ولم يرد .. ثم رفع يده .. وأضاء إصبعه من جديد بلون قرمزى جميل، أحس فيه اليوت بالحياة . وقال اليوت :

- مهما ذهبت إلى أعلى .. فإننى باق هنا ..

وقبل أن يبكى الأطفال، كان القزم الصغير قد دخل سفينة الفضاء

ووسط دموع الثلاثة، ارتفعت السفينة إلى أعلى .. ببطء شديد .. ثم اختفت فجأة وسط السماء.. وبقى الجميع يغالبون دموعهم التي انهمرت بشدة.

الجهنمي (١٩٨٤)

Terminator

هل توقفت السينما، بشكل عام، عن تقديم أفكار جديدة؟

قالوا إن الجزء الثالث من فيلم " الجهنمي " هو الفيلم الأفضل في صيف ٢٠٠٣ في عروضه العالمية، داخل الولايات المتحدة، وزعمت الأخبار المنقولة عن الفيلم إن صانعه جوناثان موستو هو أفضل بكثير من جيمس كاميرون، الذي أخرج الجزءين الأول والثاني من الفيلم.

لا جديد بالمرة في الفيلم.. مطاردات سيارات وبنادق تنطلق، وأشرار ضد أخيار وشاحنات تخترق بنايات، وقصص حب ساذجة؛ لذا فان الصالات التي شاهدت بها الفيلم، قد امتلأت بشباب صغير، يتوافق مع أذواقهم كل هذا الصخب والعنف؛ خاصة في مشاهد المواجهة الأخيرة، بين اثنين من الروبوت والبشر من ناحية أخرى ..

أغلب هؤلاء الشباب لم يشاهدوا، في السينما، بالطبع الجزءين الأول والثاني من الفيلم، ولم يكتشفوا إن الفيلم الثالث هو لملمة أشلاء متناثرة، تصور المنتج أنها جلبت المال الكثير عند عرض الفيلمين الأولين. أولها وجود الممثل ارنولد شوارزنجر في دور "الجهنمي"، وهو روبوت قادم من عام ٢٠٢٧ إلى القرن العشرين؛ من أجل التخلص من المواطنة سارة دوجلاس، التي سوف تنجب في عام ١٩٨٤ طفلا سوف يكون قائد ثورة عالمية في القرن الحادي والعشرين.. ويجب التخلص من هذا الوليد؛ حتى لا تكون هناك ثورة أساسًا..

كان الفيلم الأول الذي أخرجه كاميرون عام ١٩٨٤ يحمل فكرة بالغة الأهمية، بالإضافة إلى التقنية العالية التي تمتع بها الفيلم، فصنع نوعًا صار نموذجًا يحتذى به في سينما التخيل العلمي . فالروبوت ذو الصبغة البشرية - هيومانيويد - اخترق الزمن، كي يصل إلى عام ١٩٨٤، وقد تمت برمجته لقتل كل امرأة في المدينة تسمى سارة دوجلاس، وهو يتخلص

منهن الواحدة تلو الأخرى، عدا المرأة المقصودة، التي يتولى حمايتها رجل (بشرى) قادم من المستقبل، من بين الثوار.

هو إذًا صراع بين الآدمى ، والآلى.. وعلى هذا الأخير أن يطيع وينفذ الأوامر حسب برمجته، وقد صنع كاميرون هذا الروبوت لكي يكون بالغ القوة والشراسة، لا يعرف اى نوع من المشاعر الإنسانية، ولذا فإن التخلص منه كان صعبًا، وبدت المواجهة الأخيرة ضد الجهنمي بالغة الشراسة والإتقان، انتهت بتفكيك أسلاك الروبوت وحرقه عن طريق الصدمات الكهربائية.

وفى الجزء الثاني من الفيلم الذي قدمه كاميرون أيضًا عام ١٩٩١، جاء الجهنمي مرة أخرى من المستقبل؛ لحماية الصبى كونر، من رسول إليكتروني جديد؛ أي إن الجهنمي هنا تمت برمجته ليكون "روبوت" طيب القلب، أما الروبوت الشرير، فقد صوره الجزء الثاني المسمى "يوم الدينونة"، على أساس أنه قادر على إحياء نفسه مهما كانت محاولات التخلص منه، كما أنه قادر على أن يشكل نفسه في عديد من الهيئات البشرية،

وهو قادر على اختراق الأسوار الحديدية، والجدران الأسمنتية، وبالتالي فمن الصعب التخلص منه.. وتدور بين الروبوتات معارك هائلة، تبرع التقنيات في تصويرها بصورة، جعلت من هذا الفيلم نوعًا يحتذى به في السينما العالمية.

من الواضح أن السينما الأمريكية، قد عزَّ عليها أن يتوقف عمل أفلام جديدة عن هذا "الجهنمي" خاصة أن شوارزنجر(مولود ١٩٤٥) لا يزال على لياقته، ولم يفقد بريقه كنجم بعد، ولكن كاميرون قد توقف عن العمل تقريبًا بعد نجاح فيلم " تيتانيك"، فان إخراج هذا الجزء الثالث قد ذهب إلى جوناثان موستو، وقام ثلاثة كتاب سيناريو بإعداد الفيلم، أو فلنقل إعادة نسخ أفضل ما في الفيلمين القديمين؛ لعمل توليفة غير جديدة اسمها "الجهنمى ٣"، أو "شروق الآلات".

إذا كان الروبوت قد جاء في الجزء الثانى عبارة عن رجل، له كافة الصفات المذكورة، فإن الروبوت الشرير الجديد هو امرأة جميلة (كريستانا لوكن).. ولأنها روبوت،

وشريرة، فهى تبدو خالية تماما من أى قدرة على التعبير، كل همها أن تقتل جون كونر، والمرأة التي كانت ستصير زوجته في المستقبل، هذه الروبوتة الحسناء، هى صورة طبق الأصل من الروبوت الشرير، في الجزء الثانى من السلسلة، لا جديد بالمرة في سماتها، وبالتالى فإننا أقرب إلى هذا الجزء من الفيلم طريقة المشى نفسها، والعينين غير المركزتين نفسيهما، كما أنها قادرة على احياء نفسها بعد تدميرها، وهى لا تعرف الموت، باعتبارها آلة، كما أن الجهنمى سوف يؤدى نفس الرسالة، وهى حماية ثائر الغد جون كونر، الذى صار هنا شابًا يافعًا، غير وسيم، ليست لديه النيه إن يصير من الثوار، وأيضا حماية كات (كلير دانس)، التي ستصير زوجة له مع نهاية أحداث الفيلم .

هذا الجزء من الفيلم، هو صورة طبق الأصل من الجزء الثانى، الذى تكررت معالجته هنا، ونحن نتكلم عن الفكرة ، ومعالجتها، دون الالتفات إلى التفاصيل.. أما أبرز ما تم أخذه من الفيلم الأول، فهو وصول الروبوت من المستقبل إلى

العصر الحديث عاريًا، وأول ما يحرص عليه هذا الروبوت هو الحصول على ملابس تغطية رغم أن هذا قد لا يدخل في دائرة اهتمامات الروبوت؛ ففى الجزء الثالث دخل الجهنمى إلى صالة عرض استربتيز رجالى، أمام مهووسات؛ فقام بالاستيلاء على ملابس عارض بالقوة.

كما استوحى الجزء الثالث، من الفيلم الأول، فكرة أن الروبوت جاء من المستقبل حماية لماضى زعيم الثورة، بالاضافة إلى فكرة التخلص من الروبوت، عن طريق تقطيع أسلاكه الكهربائية، ونزع رأسه عن الجسد، وتشويه ملامح الوجه، واستخدام المجال المغناطيسى في التشويش على أداء هذا الروبوت.

كل الذى تم.. أن كتاب السيناريو الثلاثة قاموا بصنع خلطة من الفيلمين السابقين كانا مونتاجًا جديدًا، ولو أن لدى الشركة المنتجة كومبيوتر متطور، لأمكن فعل ذلك بسهولة، دون أى حاجة لإنتاج هذا الفيلم؛ فالجهنمى روبوت خال من التعبير يحمل الأسلحة نفسها، ويرتدى الزى نفسه، ويركب

دراجة بخارية مشابهة، ويجابه روبوت أكثر منه تطورا، باعترافه، فيغلب منه تارة، ويتغلب عليه كثيرًا، في تفصيلات لاهثة. شاهدنا مثيلًا لها مرارًا في "السلاح القاتل" و"ماتريكس" و"السريع والغاضب" ، فبدت هذه المطاردات كانها نسخة كربونية من بعضها، يخرجها متخصص واحد، يبرع في تنفيذها، فكأنها لا جديد فيها؛ مما يصيب المتفرج المحترف لهذا النوع من المطاردات بالبلاهة . لذا فان هذه الأفلام تشد من يشاهدها لأول مرة، ويفسر سبب إقبال المراهقين على الصالات التي عرضت الفيلم.

الشيء المختلف في الجزء الثالث، هو اختفاء الام سارة دوجلاس؛ حيث أشار الفيلم إلى أنها ماتت مقتولة في إحدى المعارك، وسبب اختفائها بالتأكيد أن الممثلة ليندا هاملتون، التي قامت بهذا الدور في الفيلمين السابقين، كانت زوجة للمخرج كاميرون، وهى لم تعمل منذ ذلك الحين إلا في أفلام تليفزيونية صغيرة.

وقد بدا السيناريو كأنه خلا تمامًا من أى قدرة على

الإبداع؛ فالروبوت في الأفلام الثلاثة يخلو من اى ذكاء صناعى، وهو موضوع محبب جديد في السينما مؤخراً، فهو لايعرف التمرد، ويمشى على أساس برمجته، له إمكانات هائلة في التحول، واعادة التكوين، والمشاجرات والطاعة العمياء، لكنه موجودا أساسًا لخدمة الإنسان، وهو روبوت أحمق.. عليه إن يقتل كل النساء، اللائى يحملن اسم سارة دوجلاس في الفيلم الأول، ويقتل كل من له علاقة بالأشخاص المطلوب رقابها في الجزء الثالث؛ فالروبوته الشريرة، وأيضًا الجهنمى، تمشى في المدينة، وتقود الشاحنات، وتطلق النار بناء على ما تراه أمام شاشته "مطلوب" ، "غير مطلوب"، ورغم أن كليهما قادر على القتل بيديه الفولاذيتين، فإن كلًّا منهما يستخدم المسدس لقتل البشر، كما أن الجهنمى الذى يعرف، من خلال البرمجة، أن الروبوتة لا تقتل بالرصاص، ولا بالرشاشات، إلا أنه يفعل ذلك رغم أنه ردد في نهاية الأحداث أنها ستظهر مرة أخرى. مما يعنى انعدام القدرة على التخيل لدى كتاب السيناريو . وهو أنهم كل ما فعلوه إن اقتطفوا الفيلمين السابقين في فيلم ثالث.

كما أن الروبوت في هذا الفيلم، يعمل لمصلحة الإنسان، خادمًا لديه؛ فالرجل القادم من المستقبل في الجزء الأول من "الجهنمى" هو عاشق ، سيقع في حب الام وستنجب منه ابنها المراد الحفاظ عليه، هذا الابن هو حصيلة علاقة بين رجل من المستقبل، وامرأة عاشت في الربع الأخير من القرن الماضى، أما الروبوتات منافسته المبرمجة، فهى مطيعة لما برمجت عليه، وعند اللزوم.. فإن الجهنمى يقرر أن يموت ويدمر نفسه، من أجل تدمير منافسته الشرسة؛ أى انه يفنى نفسه فداء للإنسان الذى يعمل في خدمته. وقد ساعد هذا في صبغ الفيلم بوتيرة، تخلو من أى إضافة، ويؤكد أننا أمام مونتاج متقن من الفيلمين السابقين.

وكان يمكن أن نشعر بجدوى لإنتاج جزء ثالث من الفيلم، لو أن الروبوتات قد تعاونت فيما بينها، أو لو أن أحدهما تمرد على خدمته للإنسان.. لكن "الجهنمى" بدا متفانيًا في خدمته لكونر؛ سعيًا لحمايته، وافقد الفيلم أى قدرة على المغامرة للشخصية الرئيسية في الفيلم "كونر"، وقد اعتمد

دومًا في الخروج من المأزق على الروبوت المقاتل؛ مما يؤكد أنه لن يصلح ثوريًّا، وإن أعطانا الفيلم الايحاء بأن كان قد سبقه إلى القتال، وهى ابنة ضابط طيران كبير، صار لديها الدافع للانتقام بعد مقتل أبيها.

نعم، لسنا أمام فيلم جديد بالمرة؛ فالطائرات المقاتلة سبق رؤية مثيل لها في أفلام عديدة، أما الأجهزة المتحاربة، فهى نسخ ممسوخة من الوحش الآلى في الجزء الأول من سلسلة أفلام "الشرطى الآلى"، وسوف نرى هذا واضحًا أكثر في الجزء الرابع من الفيلم الذى تم إنتاجه عام ٢٠٠٩، والذى عمل فيه طاقم مختلف تمامًا، وجاء مغايراً للأفلام الثلاثة الأسبق.

النهاية التي رأيناها على الشاشة، بالتركيز على وجه الجهنمى ، وقد احترق الجزء الايمن منه، وبدت عيناه اليسرى كأنها لم تفقد الحياة بعد؛ مما يوحى أن الجزء الرابع من هذه السلسلة التي استنفدت نفسها في الطريق، وأن هذا يمكن أن يحدث قبل بلوغ شوارزنجر الستين من العمر، ويعنى هذا في المقام الأول إن هوليود لا تزال تبيع الوهم المنسوخ إلى المتفرجين في كل أنحاء الدنيا .....

الذكاء الصناعى (٢٠٠١) A . I

هذا الفيلم حقيقى من أفلام التخيل العلمى.

يخالجك هذا الشعور وأنت تشاهد فيلم "الذكاء الصناعى" لسبيلبرج، ثم عليك ان تكتشف أن وراء هذه الاجزاء ثلاثة أشخاص لكل منهم أهمية، الأول بريان الديس فى أقصوصة قصيرة العنوان " ألعاب خارقة لصيف طويل ضائع" نشرها عام ١٩٦٨، ومخرج من طراز ستانلى كيوبريك اختار النص، وكتب له السيناريو الأولى، أما مخرجه، وكاتب السيناريو ستيفن سبيلبرج، فهو أحد القلائل الشغوفين بعمل أفلام خاصة فى التخيل العلمى، أبطالها المحوريين من الأطفال، مثلما سبق أن شاهدنا فى فيلمى " لقاءات قريبة مع النوع الثالث" و " أى. تى" .

واهمية فيلم "الذكاء الصناعى" أنه تخيل علمى أرضى، يتنبأ بما يمكن أن يحدث فوق الأرض، بعد نصف قرن من الزمان؛ أى إنه يشدك إلى زمنه، دون أى تحذير مما يمكن أن

يحدث فى المستقبل؛ فالخطر ليس على الإنسان، بقدر ما هو على الروبوتات، أو ما يسمى بأصحاب الذكاء الصناعى.

وقد شعرت وأنا أشاهد الفيلم، اننى تركت مدينتى، وانتقلت لساعتين تقريبًا الى مدينة المستقبل، فعشت بها، ويكشف الفيلم أن هذه المدينة لن يتغير شكلها تقريباً عن مدينتنا الحالية؛ فالملابس والسيارات والبنايات لن يتغير فى إطارها أشياء كثيرة، لكن سوف يظهر نوع مختلف من العلاقات الإنسانية أبرزها "الابن الصناعى".

والابن الصناعى هنا هو روبوت من طراز، "الأند رويد"، والمقصود به الروبوت ذو الملامح الانسانية من الخارج. لكنه من الداخل عبارة عن آلات، وخيوط إليكترونية؛ لذا فليس من المستغرب أن يكون دافيد رافضًا لالتهام الطعام، مثل أفراد أسرته البشرية، وعندما يدخل هذا الطعام إلى بطنه، عندما فعل ذلك مرغماً ، فإن الأمر يستلزم ان تقام له عملية جراحية آلية.

ولأن الاقصوصة التى كتبها بريان الديس قديمة بعض

الشيء، فإن الفكرة تبدو فى حاجة إلى إعادة نظر، فيما يخص الشكل الذى سبق أن رأيناه فى أفلام متقاربة مأخوذة عن قصص قصيرة أخرى لكتاب من القامة نفسها لبريان الديس ومنها فيلم " رجل القرنين" المأخوذ عن أقصوصة لإسحاق ازيموف، وفيه رأينا كيف تحول الروبوت على مر الزمن إلى كائن بشرى، يقع فى الحب ويصاب بالشيخوخة، بعد أن عانى كثيراً من الأبدية.

توقعت أن أرى مثل هذه العلاقة مع الابن الصناعى داڤيد، حين تصيب الشيخوخة والديه بالتبنى ويظل هو محتفظًا بطفولته، ولكن السيناريو الذى كتبه سبيلبرج تجاهل هذه النقطة واهتم بمجد إنسانى، مزج بين الفنتازيا والتخيل العلمى حول علاقة البنوة الصناعية لداڤيد، لدرجة جعلت المخرج يميت دافيد لعدة قرون قبل أن يستيقظ مرة أخرى، ويطلب من تمثال الساحرة أن تأتى له بأمه من الموتى؛ كى تعيش عدة ساعات؛ من أجل أن يشعر بأنه ابن وأنه إنسان.

هذه الإضافات التى لم تكن موجودة فى قصة الديس

أبعدت الفيلم تماماً عن هدفه، وانفصل الجزء الأخير من الفيلم، عما رأيناه من محاولات عديدة، تجعل الأم تحس بأنه ابنها، حتى وإن كان ابناً صناعيًّا لا أعرف هل كان يمكن لكيوبريك أن يوافق على هذه الإضافات، التى أبعدت الفكرة عن هدفها الحقيقى.

من الواضح أن هذا هو أحد عيوب سيناريوهات الأفلام المأخوذة من قصص قصيرة؛ حيث الأحداث البسيطة فى الأقصوصة الفرصة لكاتب السيناريو، والمخرج أن يخرجا كثيرًا عن حدود المكتوب، ولا شك أن فكرة بينوكيو هى من شطحات سبيلبرج؛ باعتبار أنه مهموم دوماً بعوالم الأطفال فى قصص أفلامه .

حسب منظور الفيلم، فإنه فى عام ٢٠٥٠ تمكن عالم من اختراع طفل اندرويد قادر على الحب، ويدفع بهذا الطفل إلى أسرة فقدت لتوها ابنها الوحيد بأن تم إيداعه إحدى المستشفيات بين الحياة والموت؛ أى إن الابن الصناعى هنا يقوم بدور بديل عن الابن الطبيعى.. ولكن أسرة سوينتون

لاتلبث أن تستعير ابنها ڤيدى، بعد أن يتم شفاوه، وتصبح هناك مواجهة بين الابنين: الأول صناعى لم يعد مرغوباً فيه، والثانى هو الابن الحقيقى البشرى، لكن الفيلم يكتب للصغير الآلى حسًّا بشريًّا بدائيًّا، فهو يشعر بالغيره من أخيه، ويتصرف حسبما هو مبرمج به، بأن يتمكن من خنقه، دون أن يدرى أنه يؤذيه، ويشكل خطراً عليه.

فى هذه الأثناء، كان قد تولد شعور متبادل بين الأم وبين ابنها الأندرويد ، فهى تحس نحوه بالأمومة، وهو يشعر تجاهها بأنه الابن، وأمام هذا الموقف العنيف كان لابد أن تأخذ الأسرة موقفاً تجاه الابن الصناعى بأن تتخلص منه؛ خاصة الأب الذى لم يشعر أبداً بأى عاطفة أبوية تجاه داڤيد.

لكن أمام أمومة منقسمة ، فإن السيدة سوينتون تضطر أن تتخلص من ابنها، ويأتى هذا فى وقت تنتشر فيه، داخل المدينة، ظاهرة التخلص من الآليين من خلال مهرجانات جماعية، باعتبار أن البشر اكتشفوا أضرار وجود الآليين، ويحاول الفيلم أن يعطى إحساسا أن البشر متوحشون، وأن ما

يفعلونه ضد الشعور البشرى؛ باعتبار أن الخوف والموت والحب والترقب، وأيضًا ممارسة الجنس التي صارت من أعمال الآليين أيضاً.

ولعل الصورة التى رأينا بها البشر، الذين يحضرون هذه المهرجانات التدميرية، أقرب إلى الجماهير التى نراها فى أفلام الحلبات، مثلما حدث فى فيلم " المصارع"، فالجمهور بلا رحمة؛ ولذا فإن الخطر يحيط بداڤيد، الذى يتعرف على أندرويد آخر، مهمته هى ممارسة الجنس مع النساء من البشر، وقد يقتلهن بعد ذلك؛ باعتبار أن الجنس أو القتل قد يكونان الشىء، أو على الخط نفسه بالنسبة للاندرويد.

ولعل ما قصدناه فى بداية الحديث، أننا أمام فيلم تخيل علمى حقيقى يتمثل فى المشاهد التى تم فيها التجوال داخل مدينة المستقبل؛ فهذه مدينة صنعها العلم والتقنيات يتكرر فيها سلوك البشر الذى عهده التاريخ منذ بدايته. وأمام هذه الرحلة، نتعرف على مدينة المستقبل فيما يشبه المطاردات والترقب؛ حتى تبدو هذه الفكرة، وكأنها قد استنفذت نفسها،

فيعود بنا السيناريو الى فكرة بينوكيو من جديد، وهى فكرة تحويل المخلوق الى كائن حى ينطق ويحس، ويتم ذلك عن طريق الساحرة التى يبحث عنها داڤيد؛ من أجل أن تساعده فى الوصول إلى أمه، والتى عليها أن تعترف به، أو أن تحس به كابن وليس كأندرويد.

والغريب أن هذه الأم، عندما ترتد إليها الحياة بعد ألفى عام، لا تفكر فى ابنها الآخر البشرى، قدر أن تشعر بأمومتها تجاه الابن الصناعى دافيد، كما أنها لا ترتد إلى الوراء، قدر أن تشبع مشاعرها تجاه ابنها، الذى طلب من الساحرة أن تعيد أمه إليه؛ ليشعر بها من جديد، قبل أن يتحول إلى آدمى وأن يموت.

انتقل الفيلم بنا من إطار التخيل العلمى الى الفنتازيا أو لنقل الفنتازيا العلمية، ورأينا من جديد المدن التى أغرقها العلم، والحروب، أسفل المحيطات؛ حيث يقع تمثال الساحرة القادرة على تحويل بينوكيو ودافيد إلى كائن بشرى، وعلى إعادة الحياة، إنها أساطير العالم القديم تعود فى المستقبل وتشبع المتفرج؛ لأن يحس أن الطفل داڤيد قد دبت فيه الحياة من جديد.

وأجمل ما فى الفيلم هو هذا الاداء المتباين للأندرويد، كل من داڤيد الذى ينتقل من مرحلة الآلة إلى أن يكون بشراً، حتى لو ظلت أمعاؤه من الأسلاك، وأيضا الأندرويد العاشق، الذى يتمكن من الهروب من مطارديه أكثر من مرة؛ حتى يتحول إلى قطع من المعدن فى المخلفات الإلكترونية.

وهناك تشابه واضح بين فيلمى"رجل القرن" و "A I" باعتبار أننا طوال الأحداث أمام اندرويد يواجه مصيره وأن كل من حول هذا الأندرويد مجرد أشباح، وأنه يجب أن يحقق حلمه الخاص بأن يكون إنسانا وأن يقترب إنسانيًا من البشر، وفى هذا إرضاء للبشر في أن كافة المخلوقات حاول التآلف به، وأن تتمثل بما يفعل، وأنه قدوة، ومن الصعب بالطبع أن يحدث العكس أن يصبح صناعيًا مثل الآلة، وذلك يذكرنى برواية "اغتيال" الفرنسية للكاتبة اميلى نوتومب؛ حين تردد ملكة الجمال للتصميم الذى أحبها، وناشد أن تنظر إلى داخله، حيث قالت له: لماذا لا تحب دمية مثلك، وتنظر إلى داخلها، لماذا أحببت ملكة جمال؟

فنحن ننظر إلى كل الكائنات، من منظور أنها الحيوانات فى قصص الأطفال والأندرويد فى التخيل العلمى؛ لأننا نرى أننا الأفضل، والأحسن. ولا يوجد منطق يخالف هذا، والدليل أن المشاهد شعر بالارتياح، وداڤيد يمارس بنوته تجاه الأم التى رمت به، كأطفال الملاهى فى الشوارع، وعادت بعد ألفى عام للشعور اللحظى بأمومة، ضاعت لكنها ترضينا كمشاهدين.

ولأننا أمام فيلم مهم، كان من المفروض أن يختار من بين الأحسن من بين أفلام التخيل العلمى، فسوف نحكى قصة الفيلم بشكل مختصر.

قالت الزوجة الحزينة، لزوجها السيد "سونيتون":

- هل حان الوقت لشراء ابن بديل.. ابن صناعى.. روبوت؟

الغريب أن الأب كان يفكر فى الأمر نفسه، فى اللحظة

نفسها، فابنهما الصغير "تاد" راقد الآن فى المستشفى بين الحياة والموت، وقد قرر الطباء أن حالته ميئوس منها تماماً؛ ولأن الأم تحب ابنها المريض كثيراً، ولا تريد أن تفقده، فتقدم بذلك مشاعر الأمومة الجميلة، فقد اقترحت على زوجها شراء ابن صناعى، عبارة عن روبوت له شكل طفل.

حدث ذلك مع بداية عام ٢٠٥٠؛ أى فى بداية النصف الثانى من القرن الحادى والعشرين، فى تلك الفترة، التى قررت فيها الحكومة العالية حظر الإنجاب؛ لأن المدن صارت مكدسة بالسكان والمساحة الخضراء بدأت تتضاءل، وخوفًا من المجاعة، فإن القرار الذى صدر شجع الناس على تبنى أطفال من الروبوتات..

يا لها من فكرة غريبة، لكنها ضرورية.

فالناس لم تعد تعيش فوق سطح الأرض، بعد أن تلوثت، وانتقل البشر للحياة أسفل سطح الأرض؛ حيث تم بناء المدن الجديدة.

وهكذا جاء داڤيد إلى البيت، ومعه الدب الآلى..

بدا "داڤيد" أقرب إلى البشر، رغم أنه آلى ، فهو طفل جميل، أصفر الشعر، مبرمج جيداً على أن ينطق "ما" بكل سعادة ورضاء؛ لذا فإن الأسرة استقبلته بكل حماس ...

كان دافيد ، نموذجا للابن المثالى، لكن ما إن مرت الشهور الأولى لوجوده فى الدار، حتى جاء النبأ السعيد .. "تاد" .. لقد شفى من المرض بحمد الله.

ياله من خبر سعيد فعلاً بالنسبة للزوجين، وها هو "تاد" يعود معافياً إلى البيت، ولكن لا شك أن عودته سوف تغير الموازين تمامًا.

طبعا ، فالأم قد عادت إليها مشاعر الأمومة الطبيعية ، وبدأ الأب يولى اهتماماً بابنه العائد لدرجة جعلت "داڤيد" .. الابن الروبوت ، الذى يعمل بالذكاء الصناعى، يردد قائلًا لصديقة الدب الصناعى :

- أشعر أن أمى تحبنى أقل.. وأنها تحب "تاد" أكثر منى لكننى مازلت أحبها بقوة.. وأحس الطفل الروبوت بالقلق؛

فالاهتمام يزداد بالطفل "تاد".. لذا كان عليه أن يلفت الأنظار إليه، وعن غير قصد دفع " أخاه" إلى حمام السباحة، ولف يده حوله كأنه يخنقه، مما أثار فزع الأبوين

وتم انقاذ "تاد" بأعجوبة من يدى أخيه الصناعى "داڤيد"..

وكان على الأب أن يتخذ قراراً حازماً: سوف نطرد هذا الطفل الصناعى من البيت .. سنرمى به إلى كوم النفايات..

وأمام هذا القرار القاسى، اصطحبت الأم، ابنها الصناعى "داڤيد" إلى أطراف المدينة، حيث توجد بقايا الروبوتات المحطمة، والتى صارت غير صالحة للاستعمال، بكت الأم، وهى تودع "داڤيد"، وتقول :

- ابق هنا .. أنت روبوت .. أنا أحبك .. ولكن ....

وتركت الأم ابنها الصناعى "داڤيد" حزينًا، وغادرت المكان..

فى ذلك العصر، كان البشر يكنون الكراهية لكل ما هو

آلى، فالآليون ينافسون البشر فى العمل، وفى المكاسب؛ لذا كانت تقام حملات عديدة لاصطياد الروبوتات، وتحطيمها، او الإمساك بها، ودفعها إلى الحلبة الضخمة؛ من أجل أن تتصارع حتى النهاية..

وهكذا، وجد "داڤيد" نفسه فى مأزق. فعندما تركته أمه، وذهبت.. كانت هناك حملة شرسة للتخلص من الروبوتات

وراح "داڤيد" يجرى هرباً من الخطر الذى يحدق به، ولكن الأمر لم يكن سهلاً، إلى أن فوجئ بالروبوت الأنيق "جو" يمسك به، ويقول :

- تعال معى ... سوف نفلت من هنا..

لكن المطاردات كانت شرسة ، بالغة القسوة؛ لذا سرعان ما تم الإمساك بهما، وسيقا إلى الساحة الكبرى فى المدينة؛ حيث يقام مهرجان ضخم، يحمل اسم "القضاء على الروبوت".

إنه روبوت مختلف، ملئ بالذكاء الصناعى، بل إن بعض المشاعر الإنسانية تنتابه، مثل شعوره العميق بالحزن؛ لأنه افتقد امه، ووسط صراخ الجماهير الغاضبة، من أجل تدمير كل الآليين ، جاء الأمل حيث شاهدت فتاة صغيرة "داڤيد"، وقالت لأبيها:

- هذا روبوت بشرى.. لماذا لا تنقذه يا أبى؟

كانت الصغيرة تعنى بالروبوت البشرى، هو ذلك الذى يحمل من الخارج ملامح الإنسان ، ولأن علامات البراءة بدت على وجه "داڤيد"، فقد سعى الأب لإنقاذ الروبوت الصغير، وعمل على إفلاته من العقاب.

صاح الروبوت "جو":

- سوف آت معك..

وانطلق الاثنان يهربان فى أنحاء المدينة، وأسرعا إلى مدينة الملاهى؛ حيث تؤدى الروبوتات ألعاباً بهلوانية، ثم تمكن الروبوت"جو" من الاستيلاء على طائرة مروحية، راحت تطير فى أجواء المدينة المستقرة فى قاع الأرض.

وتأمل الروبوت الصغير داڤيد المدينة، والطائرة تدور بهما، ثم فجأة صرخ "جو".

- إنه الزلزال..

فجأة اهتز كل شيء، وارتجت النباتات العملاقة، ولم تكن أمام الطائرة المروحية سوى أن هوت إلى سطح المحيط ووجد "داڤيد" نفسه يغرق مع حطام الطائرة، بينما اختفى "جو" تماماً.

ولأن "داڤيد" لم يصب بأذى فقد سقط فى أعماق البحار، أمام تمثال الساحرة التى طالما تمنى أن يقابلها، من أجل أن تجعله يعود لملاقاة أمه؛ كى يعبر لها عن مشاعره..

ومرت السنين الطويلة..

وذات يوم، استيقظت الساحرة الراقدة فى أعماق البحر، ورأت " الروبوت الصغير" أمامها، فاكتشفت أنه لم يصب بأذى، لذا، راحت تناديه :

- أيها الصغير .. هل استيقظت، لدىّ مفاجأة.

وتنبه الروبوت "داڤيد" من النوم، وسأل:

- ما المفاجأة؟

ردت الساحرة :

- سوف أجعلك تقابل أمك.. ليوم احد.. لقد نجت أمك من الزلزال.. بعد أن مات الكثيرون هناك .. ما رأيك؟

ولم يصدق الروبوت نفسه، وراح يتخيل كيف سيكون اللقاء، حتى ولو ليوم واحد، مع أمه.

وبعد قليل ، طارت به الساحرة، للبحث عن الأم، التى لم تنس "داڤيد" ابنها الصناعى يوماً.